تاجر البندقية

وليم شكسبير

تعريب

خليل مطران

دار المعارف بمصر

822

اهداءات ٢٠٠١

لواء طبيب / عبد الحميد سلطان

الإسكندرية

تاجر البندقية

وليم شكسبير

تعريب

خليل مطران

الهيئة القومية الثقافية
ت
٩٦٦١٥٥٥

الطبعة الثامنة

دار المعارف بمصر

الناشر : دار المعارف بمصر — ١١١٩ كورنيش النيل — القاهرة ج. م. ع .

دراسة لمسرحية

تاجر البندقية

مجمل الرواية

أنطونيو تاجر شريف النفس نزيه الطعمة من تجار البندقية ، وقد سميت الرواية باسمه، وعلى الرغم من استقامة الخلق عنده فإن موجة من الحزن تغلب على مزاجه . وقد حاول نفر من أصدقائه ــ وهم سالانيو وسالارينو وجراتيانو وباسانيو أن ينزعوا منه هذه النزعة الحزينة بإصفائهم الود إياه .

وكان باسانيو أدنى الأصدقاء مرتبة إلى قلب أنطونيو وأصفاهم له وداداً، وهو شاب أعانه شبابه الغض وكرمه الواسع على أن يفقد ثروته .

وكان قلب باسانيو يخفق بحب فتاة ثرية واسعة الميراث اسمها بورسيا، وهبت لها الأقدار من فضائل النفس ومواهب الخلق قدر ما وهبت لها من واسع الثراء. وقد أعانها مالها وفضائل النفس التامة فيها على أن يتقدم لبابها الخطّاب من طبقة الأمراء والأشراف ليظفروا بها زوجة نادرة المثال . وكان من خطابها أمير مراكش وهو شاب أسمر الأديم لوّحته الشمس فى مسقط رأسه، وأمير أراغون ، وأمير نابلى ، وأمير ألمانى ، وشريف إنجليزى ، ونبيل

إسكتلاندى . ودخل باسانيو بين هؤلاء الخطّاب المثرين لعله يفوز بالفتاة بورسيا دونهم جميعاً .

ولم يكن أمر اختيار زوج من هؤلاء الخطّاب موكولا إلى إرادة الفتاة نفسها ، ولكن أباها أوصى قبل وفاته أن يكون ذلك إلى اقتراع على صندوق من صناديق ثلاثة : أحدها ذهبي ، والآخر فضى ، والثالث من مادة الرصاص . وفى هذا الأخير صورة لبورسيا ، فمن وقع اختياره من الخطّاب على الصندوق الرصاصى كانت الفتاة من نصيبه ، وكان جديراً بالاقتران بها .

ودخل باسانيو بين الخطّاب وهو مفلس من المال وغنى بالحب المعتلج فى قلبه ، فاضطر أن يقترض المال الذى يتقرب به إلى بورسيا حتى يليق به موضعه بين الخطاب . فلجأ إلى صديقه الولى أنطونيو — أو تاجر البندقية — الذى كانت أمواله وعروضه كلها على سفنه وفلكه المشحون فيما وراء البحار . فاضطر أنطونيو — وفاء بحق صديقه باسانيو — أن يقترض المال باسمه من يهودى فى مدينة البندقية اسمه شيلوك . وقبل أنطونيو الرقى شرطاً وضعه اليهودى فى الصك ، وهو أنه إذا فات الأجل المضروب لوفاء الدين استحق شيلوك اليهودى على أنطونيو المسيحى أن يقتطع رطلا من اللحم من صدره . . وقد رضى أنطونيو بهذا الشرط القاسى الوحشى قياماً بحق صداقة باسانيو عليه . ورضى أن يقترض من شيلوك على الرغم من كراهته له واحتقاره إياه ، لأنه كان نهازاً لسماحة النصارى من أهل

البندقية الذين كثيراً ما أوذوا من رباه الفاحش .

وتقدم باسانيو ليخطب بورسيا على الطريقة التى أوصى بها أبوها الميت من الاقتراع على الصناديق . وقد أدنى الطمعُ الخطاب من الصندوق الذهبى أو الفضى فباءوا بالخيبة فى خيرة لم يكن لهم فيها الخير . . وكأنما ألهم باسانيو الخير الذى شاءه الله له – كما تقضى بذلك حبكة الرواية – فوقع اختياره على الصندوق الرصاصى الذى يبشر مختاره بقبوله زوجاً لهذه الفتاة الثرية العاقلة .

وبينما باسانيو فى نشوة أفراحه لخروج الاقتراع على ما يهواه ، ولظفره بفتاة أحلامه إذا به يعلم أن خسراناً كبيراً قد حل بعروض أنطونيو وأن سفنه قد تعرضت لثورة البحار ، وأنه أصبح بذلك عاجزاً عن الوفاء بدين اليهودى فى أجله . وأن اليهودى قد أمعن فى المطالبة بتنفيذ حرفية الصك – أى اقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو – ما دام قد فات أوان أداء الدين .

وترك باسانيو عروسه الجميلة فى زحمة الأفراح بالزواج منها ، مصمماً على أن يخلص حياة صديقه الوفى أنطونيو من يد شيلوك اليهودى الذى لا يرحم ، ولو كان فى ذلك حتفه هو . لأنه لا ينسى أن أنطونيو استدان المال من اليهودى لأجله هو لا لأجل نفسه .

ولما علمت بورسيا بالأمر كله وطدت عزمها على أن تدافع عن أنطونيو وأن تخلصه من المحنة التى وقع فيها مع شيلوك المصمم على الوفاء

بشرط الصك ، وهو اقتطاع رطل من لحم أنطونيو الذى لا ينفعه الآن فى نظر اليهودى مال مهما طال . . .

وتنكرت بورسيا فى زى محام من الفتيان وأجادت الدفاع عن أنطونيو الذى لم يعرفها ، كما لم يعرفها زوجها باسانيو ، لأنها كانت متنكرة . واستطاعت فى ذكاء وحسن حيلة أن تحيل شيلوك اليهودى إلى راجٍ ذليل . . . فقد استعملت شرط اقتطاع اللحم ضده ، مصممة على أن يكون اللحم بلا قطرة من دم ، تمشياً مع حرفية النص الذى ينص على أن رطل اللحم بلا دم . . . وهكذا كان القانون على شيلوك لا له ، واضطرته بورسيا — وهى فى ثوب فتى محام — أن يكتب أمام دوق البندقية عهداً على نفسه بأن ينزل عن كل ثروته يوم وفاته لابنته جسيكا التى كانت سرقت قسطاً من ذهب أبيها وأثمن جواهره وهربت بها مع عشيقها المسيحى لورنزو وهو واحد من أصدقاء أنطونيو .

ومن عجب أن يعيش لورنزو وجسيكا بنت شيلوك فى بيت بورسيا الضخم خلال اشتغال هذه بالدفاع — متنكرة — عن أنطونيو أمام محكمة البندقية وعلى مشهد من الدوق .

وبعد انتهاء المحاكمة إلى المصير الذى صارت إليه بخيبة شيلوك اليهودى وخسرانه وفقدانه ثروته ، وصيرورته مديناً ذليلا محروماً بعد أن كان دائناً طاغياً متجبراً — بعد هذا تنتهى الرواية بوصول أوثق الأخبار عن نجاة سفن أنطونيو مما كان قد أشيع عن هلاكها ، وتختم المسرحية ختاماً

سعيداً يجتمع فيه الأزواج باسانيو وبورسيا ، ولورنزو وجسيكا ، كما يلتقى معهم صديقهم الوفى أنطونيو الذى عادت إليه سفنه وأمواله سليمة صحيحة ، كما عادت إلى جسيكا — ابنة شيلوك وزوجة لورنزو —أموال أبيها شيلوك الذى تمثلت فى جشعه وحقده وفساد طبعه وقساوة قلبه حفنة من أخلاق قومه . . .

منابع هذه الرواية

قصة تاجر البندقية منسوجة من خيوط متنوعة قديمة قدم الطبيعة البشرية ، حتى ليؤكد مؤرخو الأدب الإنجليزى أن هيكل الرواية كله ليس لشكسبير فيه إلا فضل الحبكة الفنية . فإن حكاية الاقتراع على الصناديق ، وحكاية اقتطاع رطل من اللحم البشرى مما يرتد إلى أصول تاريخية قديمة من المحتمل أن تكون شرقية . على أن حكاية الصناديق — كما جاءت فى مسرحية تاجر البندقية — موجودة فى مجموعة لاتينية من القصص تسمى : « Gesta Romanorum » جمعت فى سنة ١٣٠٠ . وقد ترجمت إلى الإنجليزية وطبعت بوساطة « Wynkiv de Worde » ، وكانت شائعة بين الإنجليز فى عصر أليصابات إلى حد أنها طبعت ست مرات بين سنتى ١٥٧٧و١٦٠١ ؛ أى فى شباب الشاعر شكسبير .

أما حكاية اقتطاع رطل من لحم الإنسان فهى موجودة فى الأساطير الآرية وفى الأدب الشرقى جملة والمصرى القديم خاصة . وقد ظهرت فى

الأدب الإنجليزى فى قصيدة «Cursor Mundi» سنة ١٣٢٠ ، وهى قصة دينية شُرط فيها اقتطاع بضعة من اللحم من غير أن تراق قطرة من الدم . ولعل مرد هذا الجزاء القاسى إلى القانون الرومانى العنيف الذى يعطى الدائن حق اقتطاع فلذة من لحم المدين . . . ولقد ظهرت قبل شكسبير قصص لا بأس بعددها تروى فيها حكاية الرطل من اللحم البشرى كالقصة التى كتبها بالفرنسية « . ألكسندر سلفاين » وترجمها إلى الإنجليزية « L'P'London » سنة ١٥٩٦ . ولعل أقرب هذه الحكايات شبهاً بحكاية شكسبير فى مسرحيته تاجر البندقية هى حكاية «Pecorone» التى أوردها « Giovanni Fiorentīon » فى مجموعته القصصية سنة ١٣٧٨— أى بعد وفاة الكاتب الإيطالى الشهير « بوكاسيو » بثلاث سنوات .

أما حكاية هرب جسيكا بنت شيلوك بعد أن سرقت بضعة من مال أبيها وجواهره فيمكن أن ترتد إلى أصل إيطالى فى القرن الرابع عشر ، وذلك فى رواية نوفلّينو لسالرنو ، فهى تحدثنا عن ابنة ثرى بخيل من أهل نابلى ، سرقت جواهر أبيها واتخذت سبيلها فى الأرض هرباً مع عاشقها . . . على أنها بعد ذلك حكاية شائعة فى ممالك الأرض جميعاً .

على أن الفكرة الرئيسية فى رواية « تاجر البندقية » يقال إنها مأخوذة من « ملهاة البندقية » التى يزعم « Fleay » أنها الأثر الأدبى الضائع للكاتب Dekker والتى كان اسمها « يهودى البندقيـــة » . ومهما

يكن من أمر مصادر الحكايات التى اشتملت عليها مسرحية شكسبير فإن شاعر الإنسانية الذى لا يدانى قد خلع عليها من عبقريته ومن روحه ومن سحر لغته ما جعلها رائعة عالمية فوق مناط الحكايات والأقاصيص ه

البناء المسرحى ووحدة الزمان والمكان

إذا كنا نسلم بالعناصر الرئيسية التى وضعها أهل الخبرة للمسرح بعد طويل من التجارب ، والتى بنوها على المفتتح ، وابتداء العقدة ، ونقطة التحول ، وانحدار نحو الختام ، والخاتمة ، فإنه من المسلم به أن خاتمة المأساة تنتهى بصراع البطل ضد قوات معادية ، وينتهى الصراع بهزيمة البطل ، على حين ينتهى فى الملهاة بانتصاره . وعلى ضوء هذه المبادئ نقول : إن « مسرحية تاجر البندقية » هى ملهاة ينتصر فيها أنطونيو على كل الصعوبات التى اعترضت سبيله . فعلى حين تتأزم الأمور أمام أنطونيو ويعجز عن الوفاء بدين شيلوك فى موعده ، وتأتيه أخبار الخسارة لعروضه وأمواله وسفنه فى الساعة التى يفرح فيها باسانيو بزواجه من بورسيا — على حين يحدث ذلك إذا بالمحاكمة تبدأ ، وإذا بالفتاة الثرية العاقلة بورسيا تحول القانون فى براعة وحذق إلى صدر شيلوك ، فتختلط المأساة الفرعية العارضة بالملهاة الأصيلة ، وينتهى ذلك كله بالنهاية السعيدة على نغمات الموسيقى ، وفى سفور القمر المطل المضىء على قصر بورسيا بمدينة بلمونت .

ولقد نحى شكسبير وحدة الزمان والمكان جانباً فى هذه المسرحية ،

وجرى على وحدة أكمل وأتم — هى وحدة الحياة . وبذلك سار على طريقة ابتداعية خالف بها المذهب الاتباعى القديم « الكلاسيكى » .

وتستغرق هذه المسرحية فى مقياس الزمان ربع عام تدور فيه الأحداث مدارها ، ولكنها تبدو لنا حين نسمعها أو نقرؤها أنها تدور فى ساعات قصار . . . على حين تنتقل المشاهد من مدينة البندقية إلى مدينة بلمونت طرداً وعكساً . وهنا يحق لنا أن نقول مع القائلين : إن الوقت عند شكسبير مستقل كل الاستقلال ، أو غنى كل الغنى عن الساعات والتقاويم . . .

أشخاص المسرحيه

ليس مبالغة فى القول أن نقول إن مسرحيـــة « تاجر البندقية » غنية غنى وافراً فى شخصياتها . وهو غنى ليس فى الكم وحده ، ولكنه يضيف إلى الكيف ما يجعل هذه الرائعة واحدة من أجمل روائع شكسبير . ولقد قسم الشاعر الإنسانى أشخاص روايته إلى مجموعات متشابهة أو غير متشابهة ولكنها محكمة الاختيار إلى حد يجعل كل واحدة منها قائمة واضحة المعالم ، ثابتة فى المكان الذى اختاره لها المؤلف ، بحيث لا يختلف وضع مع وضع ، ولا يتنافر شىء مع شىء ... فهناك مجموعة يترسط عقدها تاجر البندقية — أنطونيو — وهناك مجموعة يتوسطها شيلوك ، ومجموعة تتوسطها الفتاة الثرية العاقلة الحصيفة بورسيا . على أنه ليس من الإنصاف ونحن فى معرض تحليل شخصيات المسرحية أن نغفل الإشارة إلى جسيكا بنت شيلوك وهى

التى شغفها الفتى المسيحى لورنزو حبًّا، فهربت معه بما حملته من أموال أبيها البخيل وجواهره . وهما شخصان ذوا دورين عارضين فى الرواية ، إلا أنهما يكبران شيئاً فشيئًا فى خلال المسرحية حتى يبدوا من أهم عناصرها . ولنبدأ بشخصية :

أنطونيو « Antonio »

هو شخصية هامة جذابة فى المسرحية، وفى طيبة طبعه وسلامة نفسه ما يجعل منه بطلا طيباً إذا ووزن بمقابله شيلوك . ويبدو على ملامح وجهه الطيب ما يبين عن أنه مثقل النفس بهموم ثقال ، فهو حزين فى أول مشهد من المسرحية حزناً لم يستطع أن يكشف عن أسبابه لصديقيه سالاريتو وسالانيو، فقد ظنا أن به لوعة من وجد أو خوفاً من توقع خسارة فى تجارته. إلا أن سمات الكآبة البادية غالباً على وجهه لم تستطع أن تغير شيئاً من كرم نفسه ورفيع صفاته . فهو جواد بأعز ما يملك ، لا يضن بمذخور التلاد على أصدقائه ، وهو صبور فى المحن ، عاف عن الزلات ، حرّ حين يحب ، وصريح حين يكره ؛ وهو يحب المال لا لذات المال ، ولكن ليعين به صديقاً أو يسعف به مكروباً . ألم تدفعه المروءة إلى أن يضمن صديقه باسانيو عند اليهودى شيلوك الذى أقرضه المال على شرط أن يأخذ رطل لحم من جسمه إذا فات موعد وفاء الدين ولم يستطع المدين وفاء ؟ وقد ظل أنطونيو طول المسرحية طيباً من جميع نواحيه ، إلا أنه كان شديد الوطأة

فى حملاته اللسانية على شيلوك اليهودى حين كان ينعته بأشنع الأوصاف وأقذر النعوت ، وحين أعلن أمام دوق البندقية أنه تهيأ صابراً لما ترميه به نفس شيلوك الخبيثة من الرزايا . ولقد استسلم أنطونيو للمصير الذى يريده به اليهودى من قطع رطل من اللحم من جسمه ، وتمنى — فى غير سخط ولا جزع — لو حضر صديقه باسانيو ليرى بعينيه كيف جاد بحياته فى سبيل الوفاء بدينه . وهنا يتغير موقف المخاصمة والمحاكمة بين شيلوك وأنطونيو حينما تتولى بورسيا الدفاع عن أنطونيو ، فتجعل من حرفية القانون سلاحاً ضد شيلوك بدلا من أن يكون سلاحاً فى يديه . وتنجلى هذه الغمرات كلها ضد أنطونيو عن انتصاره وانتصار صديقه باسانيو ، كما تنجلى عن سلامة سفنه التى أشيع أنها كانت قد صارت إلى هلاك فى عرض البحار . .

باسانيو « Bassanio »

هو صديق أنطونيو الذى اقترض له المال بضمانته من شيلوك وكان باسانيو بحاجة إلى المال ليتقدم به إلى خطبة الفتاة الوارثة الجميلة بورسيا . فكل محنة لقيها أنطونيو كانت من أجل باسانيو. وكان كل شيء فى المسرحية ينبئ بأن باسانيو هو المقدور أن يكون زوجاً لبورسيا الجميلة على الرغم من ازدحام الخطاب من الأمراء على بابها . فجاء اقتراع الصناديق من نصيبه مؤيداً لاختيار بورسيا لو كان لها وحدها الخيار . فهو فتى سرى النفس نظيف السلوك . وهو فوق ذلك رقيق الحس . ما كاد يعلم — وهو

فى مباهج العرس بزواجه من بورسيا — بأزمة أنطونيو وإلحاح اليهودى عليه بتنفيذ الشرط فى اقتطاع رطل اللحم من جسمه، حتى ترك زوجه الجميلة فى ليلة عرسها وخف إلى مكان المحاكمة لعله يفتديه أو يسعفه بالمال الكثير الذى أمدته به بورسيا لو أمعن اليهودى شيلوك وغالى فى المطالبة بمال بدلا من رطل اللحم . . .

بورسيا « Portia »

هى الفتاة الوارثة الثرية ، التى أراد لها أبوها قبل أن يموت أن تتزوج عن طريق الاقتراع على صناديق ثلاثة : أحدها ذهبى ، والثانى فضى ، والثالث رصاصى . فلم يكن اختيار بعلها لها ، وإنما لما تحكم به القرعة بين الخطاب الكثر الذين تقدموا لخطبتها . وقد كانت ترى مما يشق عليها أن تكون فتاة عاقلة مثلها غير قادرة على قبول من تحب ، أو رفض من لا تحب . وكأنما الأقدار السعيدة كانت تهيئ لها السعادة حينما وقع اختيار الشاب باسانيو على الصندوق الرصاصى الرابح . ولكن باسانيو فقير لا يقوى على منافسة الخطاب الأثرياء ، فلجأ إلى صديقه أنطونيو — تاجر البندقية — ليقرضه المال . ولكن أنطونيو — فى غمرة من الضيق المالى — لجأ إلى اليهودى شيلوك الجشع الحقود . وما كادت بورسيا تعلم بمحنة أنطونيو حين عجز عن وفاء الدين فى أجله ، حتى همت لتنقذ أنطونيو من تصميم اليهودى شيلوك على تنفيذ الشرط القاضى باقتطاع رطل لحم من جسده . إن أنطونيو

قد أسلف لها يداً غير مباشرة حين ضمن القرض الذى أخذه باسانيو ليتقدم إلى خطبتها ، فكيف تقصر الآن عن معونته فى النكبة التى منى بها أمام شيلوك ؟ لقد تنكرت فى زى محام شاب لتدافع عن أنطونيو وتنقذ حياته من يد اليهودى العنيد الحقود . ولقد كان موقعها فى المدافعة أمام دوق البندقية موقعاً اختلط فيه الشعر بالفلسفة . وامتزج فيه الوقار الرصين بالسخرية اللاذعة . وما أروعها وهى تلجأ إلى لغة الشعر لتتحدث عن الرحمة حديثاً تحاول أن تلين به قلب اليهودى الذى قدّ من صخر ! وما أذكاها وهى تحوّل القانون ضد شيلوك ! فإنها اشترطت عليه أن يقطع اللحم من جسم أنطونيو بلا قطرة من دم ، وإلا قضى عليه قانون البندقية بمصادرة أمواله وأملاكه ، وهنا اضطر شيلوك — مكرهاً — إلى أن يرضى بأن يرد إليه أصل قرضه من غير تنفيذ لشرط اللحم ! ولكنه فى النهاية خسر قرضه، وخسر ماله كله الذى ذهب إلى ابنته جسيكا وزوجها لورنزو . . . ولقد بلغ من حكمة بورسيا أن الكاتبة المسز جايمسون قالت : « إن شكسبير هو الفنان الوحيد — بجانب الطبيعة — الذى يستطيع أن يحيل النساء عاقلات حكيمات من غير حاجة إلى أن يجعل منهن رجالا » .

شيلوك Shylock

إذا كانت بورسيا هى جمال هذه المسرحية فإن شيلوك اليهودى الجشع هو سر القوة الكامنة فيها . وقد حاول شكسبير أن يجمع كل خصائص

اليهود وصفاتهم العامة فى شخصية شيلوك ، الذى يمثل الشعب اليهودى أصدق تمثيل . ففيه منهم تلك الكبرياء العاتية التى لم تقف لحظة خلال العصور عن أن تثير العداوات ، وفيه ذلك الشح المفرط الذى يقود إلى الجشع البغيض ، وفيه منهم ذلك الضعف والذلة . فهو فى الحق نموذج من آلام اليهود وكراهيتهم . وقد كان هو نفسه موضعاً للازدراء الشديد والإهانات المتصلة من المحيطين به من مسيحيي البندقية .

وكان له بينهم أعداء يرى نفسه أكبر من مصالحتهم ، وإن كان أضعف من مقاومتهم . على أنه فوق ذلك لم يكن فى يهوديته بأكثر منه فى شيلوكيته . . . فله من السمات الخاصة ما يزيد على سمات قومه . . .

ولقد صوره شكسبير حقوداً منتقماً أكثر منه طماعاً جشعاً ؛ فإن الحقد كان يجرى فى مفاصله مجرى الدم . . . فقد أنساه حقده حب المال وهو يخاصم أنطونيو أمام دوق البندقية ، حتى لقد رفض أن يدفع له دينه أضعافاً مضاعفة لقاء أن يشفى حقده باقتطاع رطل من اللحم من جسد أنطونيو . وكل ذنب أنطونيو لديه أنه رجل تجمعت فيه أكرم خلال المسيحية — أو الإنسانية — فهو مسماح كريم منجد مغيث للملهوف لا يقرض بالربا مطلقاً ولا يتعامل به. حتى لقد قال عنه الناقد الأديب « H'N' Hudson » : « لما كان الجشع والحرص هما هوى نفسه الذى تحكم فيه فإن الفضائل المسيحية التى لا تتفق مع ذلك بدت فى عينيه من أكبر الذنوب » .

ولقد بلغت شهوة المال والحرص عند شيلوك حداً جعلت منه شخصاً

بليد الحس ، وضيع النفس . فلم يحزنه شيء حينما فرت ابنته جسيكا مع عاشقها المسيحى لورنزو أكثر من حزنه على المال الذى هربت به . . . كأن الشرف عنده شيء لا اعتبار له بجانب المال . ويقول حينما علم نبأ هروبها بالمال والمصوغ : « من لى بابنتى ميتة عند قدمى ، والماستان فى أذنيها ؟ ! » .

وبلغ من بلادة حسه أنه ألفَ أن يسمع أفحش الطعن فيه فلا يتحرك ولا يثور ، ولا يبدى آية من آيات الغضب . وكثيراً ما ندد به أنطونيو وباسانيو وأصدقاؤهما فلم يبدُ عليه أنه سمع من واحد منهم كلمة . . . ويتمتع شيلوك — لو صح هذا التعبير — بنصيب كبير من المكر والخبث الذى بدا جلياً فى المحاورة بينه وبين أنطونيو وباسانيو ، حينما جاءاه لطلب القرض منه . كما بدا جلياً فى المحاورة بينه وبين سالانيو وسالارينو حينما فات أجل الدين وحق تنفيذ الشرط القاضى على أنطونيو باقتطاع رطل من لحم جسده

وإذا جاز لنا هنا أن نعود مرة أخرى إلى حقد شيلوك فإنه كان حاقداً على المسيحية بحكم يهوديته ؛ وكان حاقداً على أنطونيو لأنه كان يسخر منه من ناحية ، ولأنه كان تاجراً شريفاً نجداً غير مراب ولا حريص على مال ؛ وكان حاقداً على لورنزو المسيحى صديق باسانيو لأنه أغرى ابنته جسيكا بمغريات الحب فهربت معه من بيت أبيها شيلوك حاملة معها ما حملت من ذهبه ومصوغاته .

ولقد ضاع ذلك اليهودى التاعس فى نهاية الخصومة بينه وبين أنطونيو

ضياعاً مادياً لا قيامة له بعده... بفضل براعة بورسيا فى الدفاع . فضاعت أمواله كلها التى أنفق الساعات فى جمعها لتذهب إلى لورنزو المسيحى الذى تزوج بابنته جسيكا . وعاد من صفقة القرض التى كان يحسبها رابحة بأفدح خسران . . .

ولقد بلغ من خطر الدور الذى قام به شيلوك أن المسرحية كادت تسمى باسمه بدلا من اسم أنطونيو تاجر البندقية . فقد وجد فى أحد السجلات القديمة « Stationers Registers » تعريف بهذه المسرحية هكذا : « هذا كتاب تاجر البندقية ، أو كما يسمى باسم آخر : يهودى البندقية » . ولقد يدلنا هذا النص الوثيق على أن شكسبير كان فى شك من أن يسمى مسرحيته بإحدى التسميتين نسبة إلى أنطونيو أو شيلوك . وأياً ما كان الأمر فإن شيلوك هو « شخصية » هذه المسرحية ، وما عداه من الشخصيات فتبع له . ولكن أنطونيو من ناحية الدراما هو شخصية هذه الرواية ، فلولاه ما كان لشيلوك ظهور . . .

جسيكا « Jessica »

ابنة شيلوك اليهودى ، ولكنها لا تبدو فى أى موقف من مواقفها فى المسرحية على صورة تنفر القارئ أو المشاهد . فقد اجتمع لها من اللطف والوداعة والجمال ما ينسينا كثيراً من سيئات أبيها ، حتى لقد يظن الظان أنها ليست من طينته ، ولا من ديانته . فهى كما يقول سالارينو مخاطباً

شيلوك بعد حادثة هربها : « بين دمك ودمها من البون مثل ما يختلف النبيذ الأحمر عن النبيذ الأبيض ! » .

على أن فرار جسيكا فى ذاته مع عشيقها المسيحى لورنزو قد يحملنا على فرض احتمالين لا ثالث لهما : فإما أن تكون الفتاة فتاة غير طيبة ، وإما أن يكون أبوها غير طيب . وخاصة بعد أن سرقت معها جمهرة من مال أبيها ، ولكننا حين نلتمس لها العذر فى الفرار من بيت ضرّب الشح والحرص والتقتير عليه بجرانه ، فإننا لا نعفيها من بعض اللوم على سلوكها هذا . ومن عجب أن هذه الفتاة المحرومة قد آلت إليها أموال أبيها شيلوك بعد أن خسر قضيته مع أنطونيو . وصار مصيداً بعد أن كان طالب صيد . .

لورنزو « Lorenzo »

هو عاشق جسيكا ابنة شيلوك اليهودى . وقد هرب بها فى ليلة كان أبوها فيها مدعوًّا إلى حفل تنكرى . وساعده على الهرب بها وبالمال الذى حملته جراتيانو وسالارينو ، وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو ، وكأنما كان شيلوك يحسّ بما سيحدث تلك الليلة ، فقد خاطب ابنته موصياً إياها بتغليق الأبواب وإحكامها وحذرها أن تذهب إلى النافذة لتطل منها ... ومن عجب أن تهرب جسيكا مع لورنزو إلى بيت بورسيا وزوجها باسانيو ، وأن يتولى العاشقان الهاربان الإشراف على هذا القصر حتى تعود بورسيا منجزة مهمة دفاعها النبيل عن أنطونيو وهى متنكرة فى بزة فتى من أقدر المحامين .

بقيت بعد هذا شخصيات جراتيانو وسالارينو وهما من أصدقاء أنطونيو وباسانيو. وقد بلغ بهما صدق المودة وخلوص الحب حداً يضمهما فى إطار فريد نادر من الصداقة التى تجلى مثلها الرفيع فى أنطونيو.

أما طوبال اليهودى صديق شيلوك فهو شخصية ثانوية الأهمية ، ولكنه على كل حال كان يحمل إلى شيلوك أطراف الأخبار وأسوأها ... حمل إليه نبأ خسارة سفينة من سفن أنطونيو، كما حمل إليه فى اللحظة عينها نبأ عن ابنته الهاربة جسيكا أنها أنفقت ثمانين دوقية ذهبية فى ليلة واحدة بمدينة جنوة . . . ويا للمفارقة بين النبأين !

أما شخصية لنسلو جوبو « Lancelot Gobbo » فهى شخصية تعتمد على عنصر الضحك والغرابة . لقد كان فى خدمة شيلوك اليهودى ، ولكنه وجد من سوء عشرته مالا يُطمع بالبقاء عنده ، فتركه إلى خدمة باسانيو . والحق أن بيت شيلوك كان يشبه قطعة من الجحيم ... ولقد عبرت عن ذلك جسيكا ابنة شيلوك حين خاطبت لنسلو جوبو قائلة : « أنا متكدرة لتركك أبى ، وستكون لك وحشة فى هذا البيت الجهنمى » . ولقد انتقل لنسلو إلى بيت باسانيو — أو إلى قصر بورسيا — حيث أوت إليه جسيكا مع عشيقها وزوجها لورنزو ، وحيث صارت إليها ثروة أبيها شيلوك وأمواله الواسعة . . .

مقدمة للمعرب

أصل هذه القصة أحدوثة ، وما أصغرها من أحدوثة ، جرت على الألسنة فى إيطاليا وتداولتها نقلا عنها سائر الأمم : محصلها أن فتاة ذات مال وافر وجمال باهر وعقل كالكوكب الزاهر ، كان قد مات عنها أبواها ، فخطبها إلى نفسها ملك مراكش وأمير أراغون فى جملة النبهاء ممن خطبها . ولكنها مالت إلى شاب رقيق الحال من مسقط رأسها ومن بنى جنسها ، استدان المال الذى أنفقه فى الزلفى إليها بضمان صديق له فقير مثله ، رهن لليهودى الذى أقرض ذلك المال رطلا من لحم صدره . فاستخارت الفتاة الله فى مستقبلها ، وناطت أمرها بثلاثة صناديق : ذهبى وفضى ورصاصى ، جعلت فى الأول منها جمجمة ميت ، وفى الثانى رأس هزأة أبله ، وفى الثالث رسمها ، فمن اختار من الخطاب الصندوق الذى فيه رسمها أصبحت له حليلة . وقد جاء فى هذه الحكاية ما يجىء عادة فى كل حكاية من أمثالها : أن حبيب الفتاة هو الذى ألهم الصواب ، ففرحت به ، واحتالت لإنقاذ صديقه من تبعة ضمانه لليهودى ، بأن تزيت بزى عالم قانونى ، وقضت على المرابى .

طالع شكسبير هذه الأسطورة من أساطير السذج فى تلك الأيام ، فما أجالها إجالة فى ذهنه المبتدع حتى بدأ بها فصورها جملة فى أحسن

ظروف الحياة زماناً ومكاناً على كل وجوهها ، وقيد أوابد الشكل من كل نواحي الفن وفي كل مراميه ، جامعاً في ذلك كافة بين المبكي والمضحك جمعاً خلاباً غريباً ، مازجاً ما يغضب وما يرضى أوما يسوء وما يسر مزجاً رائعاً عجيباً .

اقرأ — رعاك الله — هذه القصة على النحو الذي نحاه شكسبير في جعلها حكاية عن الحقيقة تتبين عجباً عجاباً . وأى عجب عجاب كإخراجه من تلك الأنقاض المتداعية المتدابرة غير المتماسكة أنقاض الأسطورة العتيقة صرحاً أيداً مشيداً ليس في جملته ولا في تفصيله إلا أفانين صادقة من الحوادث الإنسانية بمقدماتها ونتائجها التي هي أبداً قديمة وأبداً جديدة .

الآن أصبحت تلك القصة ولا موضع فيها لسؤال السائل عن شيء يتمم ما فيها من الدروس الاجتماعية المرتبطة بموضوعها وبكل ما يتحرك في دائرته . أصبحت ولا محل فيها لتمني من يتمنى علة صحيحة لحديث مسوق ، أو لفظة مناسبة لمقام ذي بال ، أو عبارة أو إشارة كان يحسن أن توجد في مكان معلوم .

فإذا فرغنا من النظر إلى جملة القصة فهلم نقلب الطرف في التفصيل المعنوى :

خذ الأشخاص وتبين كنه كل منها تر آية شكسبير الكبرى : آية تعمقه إلى كنه الإنسانية في كل حي من أحيائها على اختلاف البيئات ،

ما تتصور حادثة إنسانية شعرية، معطياً إياها من الجدة والندورة ما صيرها من خرافة عامية تقصها العجائز على أحفادها وحفائدها إلى رواية تمثيلية من أسمى الروائع التي جادت بها قرائح المبدعين في هذا الفن .

ثم طفق يهيئ أجزاءها ويرتب مشوّقاتها ويصل بالأسباب الفكرية الدقيقة ما بين أوائلها وغاياتها ؛ وههنا يجد المطالع شخصاً يتمثل به كل قصد بحيث لو بحث في الإنس كلهم عن أجمع من هذا الشخص لمقومات الصفة التي أراد المؤلف أن يظهره متصفاً بها لما وجد أتم مما هو في تقدير شكسبير .

وما بالك بعد هذا بالكساء اللفظي الذي كانت أزواج تلك المعاني خليقة أن تكتسي به ! إن المعجم على ضخامته وسعته الطائلة لمتضائل ومتقارب الجوانب ومتحفز الأصداء للإجابة بين يدي شكسبير ، كالطبيعة بأسرها حين يصور ، أو كالنفس الإنسانية في أقصى حدودها جلالةً أو دقةً حين يتخيل ، أو كالقلوب المتأثرة الخفاقة حين ينصت إليها ويجمع من حسّاتها مادة حكمه ليقرر .

ما ازددت قراءة لمنظومة من منظومات هذا الرجل ، قصيدة فذة كانت أم رواية ، سؤالاً في عرض محادثة بين شخصين أم جواباً ، كلمة جدٍّ ألقى بها في ملامة أم كلمة مزاح ، إلا ازددت له إكباراً . وناهيك منه بشاعر سمت به العبقرية إلى أوج جلالها ، جعل القصة التمثيلية مجالاً غير محدود للوصف ، فبين بها أحوال النفس على اختلافها ، وقلب

وتعدد المناشئ والصفات ، وتنوع المعايش والمكروهات والمشتهيات . تجد الطمع فتقول لا يصوّر بأدق من هذا ؛ تجد الجبن فتقول لو تمثل رجلاً لكان هذا ؛ تلمح الحقد فتقول كأنني بفلان وفلان وفلان وقد كشف كل عن جزء من الحقد الذى فى قلبه فاجتمع من الثلاثة الأجزاء هذا النوع التام من الحقد بل النوع الأتم : وهكذا الحكم فى كل ما تصدى شكسبير لإظهاره بمظهره البشرى .

إذا بلغ الوفاء من الصديق للصديق أسمى مبالغه التى شهدناها ، أو جاءنا بسيرها التاريخ من عهد أرسطاطاليس الذى يؤثر عنه تحبيذ أرق معنى فى معانى الوداد ، فهل يزيد شيئاً على ما جعله شكسبير فى نفس « أنطونيو » من معجزة الوفاء وأجراه على لسانه من بديعها ؟

إليك ما يقوله حين يستعين به صاحبه على اقتراض المال الذى به يقترب إلى مالكة لبه ، ويتوصل إلى مطمح نظره ومطمع قلبه :

« أنطونيو : ما كان أغناك — على علمك بى — عن إضاعة الوقت فى الاحتيال للاستعانة بمودتى . إنك بارتيابك فى خلوصى لك لتسوءنى أكثر مما لو أضعت علىّ ثروتى بأسرها . قل ما ترجوه منى فيما تعرفنى قادراً عليه فقد أجبت . تكلم » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو حين يشترط اليهودى إقراراً منه بأنه إذا لم يف بالدين المطلوب فى يوم كذا بمكان كذا أوجب لليهودى عليه اقتطاع رطل من لحمه فى المكان الذى يختاره من جسمه ، فقد كان أول جوابه

هذه الكلمات التى هى من أكبر ما قيل فى التفدية للصديق بالنفس والنفيس : « أوافق بارتياح على هذا الشرط » .

ثم إليك ما يقوله أنطونيو مودعاً ، وقد وقف من الموت قيد خطوة ، وبقى له من العمر فسحة دقيقة أو ثانية لا يحسب لها ثانية ، ويموت عندئذ من أجل صديقه أبشع الميتات وأشدها إيلاماً للتصور ، فضلاً عن الجثمان الحىّ ، سامعاً و رائياً ، شحذ المدية على نعل اليهودى الذى يتأهب لقتله :

« أنطونيو : شيء غير كثير . أنا متأهب وصابر . هات يدك ياباسانيو وتلقّ وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك ، فإن المقادير رفقت بى رفقاً ليس من مألوفها فى مثل مصابى . فمن مألوفها أن تبقى من فقد جاهه حياً غائر العينين مثقل الجبين بالغضون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة . أما أنا فإنها أنقذتنى من هذا العذاب الطويل ، وغاية ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرفة ، وتخبرها كيف كانت نهاية أنطونيو وتصف مبلغ حبى لك ، وتبثها بثك مما ألم بك حين شهدت ميتتى ؛ فإذا فرغت من ذلك، أن تسألها " ألم يكن لى صديق؟" ثم أن لا تعاتب نفسك على وفاة ذلك الصديق فإنه هو غير آسف على إبرائك من دينك مع علمه أن مدية اليهودى لو انحرفت أو تمادت قليلا لذهبت بالقلب كله فداء لك » .

فإذا انتقلنا إلى تمثيل الجمال أصلح ما يكون لتزدان به الزوج الصالحة وأبهج ما يكون رسماً حسياً للكمال ، فهل يتهيأ لنا ملك فى شكل بورسيا

وهى تقول لعاشقها الذى وفق فصار زوجاً لها :

« بورسيا : أيها الهمام باسانيو ، هأنذا لديك كما أنا ، ولولا أمر جددته فى نفسى لاجتزأت بالنعم التى منحتها ولم أستزد . ولكننى غدوت متمنية من أجلك لو رجحت ستين مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ، وعشرة آلاف مرة أعظم جاهاً ، فتكبر حظوتى فى عينيك ، ولو كان لى من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب أعداد لا تنفد . إلا أننى — ولا فخر — غير خالية من شىء يقدر بقدر ، فإنما أمامك فتاة معصر نقية غرة تعتد من لطف العناية بها كونها لم تزل لدنة صالحة للتقويم ، ومن سعد طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى على التعليم ، ومن تمام نعمائها أن عقلها طيع يدعوها إلى إلقاء زمامها عن رضى بين يديك والإقرار عن خضوع بأنك سيدها وأميرها ومليكها . فأنا وكل مالى قد أصبحنا لك اليوم . كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ، وكنت مولاة خدمى وحشمى ، وكان بيدى قياد نفسى . أما الآن فالدار والتبع والمتبوعة فى تصريف بنانك يا ولى أمرى » .

كل أولئك عجب ، وإن عند شكسبير لأعجب : هذا شيلوخ اليهودى المطماع ، المرابى ، الحريص إلى التقتير ، الذى لا تسخو نفسه « بالدوق » ينفقه فى اقتناء الدواء إذا مرض وأوشكت العلة أن تقضى عليه ، قد تأصل بغض النصرانية من نفسه حتى إنك لتراه على النقيضين فى آن : يثور به الحرص فيبكى ، وأى بكاء ، على أعلاق سرقتها ابنته وفرت بها

مع شاب مسيحى ، ثم يشب به عامل الحقد الدينى فيتغلب فيه على ذاك العامل ويحركه إلى التخلى عن ثلاثة آلاف دوق ذهباً ، بل عن ستة آلاف ، بل عن اثنى عشر ألفاً تعرض عليه فداء ، فيأباها كأنها أقل من درهم لينتقم من أنطونيو النصرانى .

وهل فى إظهار التنازع بين الإحساسين المتضادين فى النفس الواحدة أبلغ من هذه العبرة التى جاء بها شكسبير بين الجد والهزل ؟ طالعوا فى دقائق معدودة هذا الحوار بين شيلوخ وبين صديقه وأخيه فى الدين طوبال الذى ناط به شيلوخ البحث عن ابنته الفارّة :

« شيلوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتى فى جنوا ؟

طوبال : خوطبت عنها فى أماكن جمة ، ولكننى لم أتوصل إلى عرفان موضعها .

شيلوخ : يا للخسران ! اختلست منى ألماسة بيعت علىّ فى فرنكفورت بألفى دوق . الآن قد طفقت اللعنة تحلّ على أمتنا حلولا لم أشعر به من قبل . ألفا دوق فقدتها عدا مصوغات أخر غالية وأى غلاء . من لى بابنتى ميتة عند قدمى والألماستان فى أذنيها ؟ من لى بها ممدودة هنا أمامى على وشك أن تحمل فى نعش وتحمل معها الدوقيات ، عجباً ! أما من نبأ عنها — هكذا — ؟ ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة . . .

طوبال : لست فذّاً فى تعرضك للنوائب . إن أنطونيو قد فقد إحدى سفائنه

شيلوخ : حمداً لله حمداً لله . أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت ذواتية نجوا من الغرق .

شيلوخ : وحمداً لك يا صديقى طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت الأخبار.

طوبال : سمعت أن كريمتك أنفقت ثمانين دوقيًّا فى ليلة واحدة بجنوا .

شيلوخ : تطعننى بخنجرفى قلبى ! لن يعود إلىّ ذهبى .

طوبال : فى رجوعى إلى البندقية حدثت أن أنطونيو لا بد له من التفليس .

شيلوخ : يا فرحاً بما قالوا . سأعذبه . سأنكل به . . يا للسرور !

طوبال : أرانى أحدهم خاتماً نفحته كريمتك به لتحلية قرد أعجبها .

شيلوخ : ويحها من تاعسة ! تقتلنى يا طوبال . تلك زبرجدتى التى اشتريتها من ليحا أيام عزوبتى ، ولو أعطيت فرقة من القردة لما أعطيتها » .

أما من جهة العبارة وفصاحتها والديباجة وروعتها فليس فى عزمى بالبداهة أن أجىء باستشهادات فى اللغة الإنجليزية لتبين براعة شكسبير فى استخدام لغته على ألف نحو لا يجارى فيه للتعبير عما يجول فى رأسه أو ينبض به قلبه . وإنما سأحاول أن أظهر تلك البراعة بأقرب ما تتسنى محاكاة النقل للأصل ، فيشعر متصفح الكلام وهو يقرؤه عربيًّا مبيناً أن شكسبير هو الذى يتكلم .

خذ مثلا من أمثال تتجدد فى كل صفحة وتتعدد فى كل مقام : كلام برسيا وهى متنكرة فى زىّ قاض تصف الرحمة لتستعطف الإسرائيلى شيلوخ . أقيل فى الرحمة أفصح وأجل من كلامها ؟

« بورسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً. فهى كماء السماء ينهمل بالخير ويهطل باليمن ، عفواً ممن وهب ، وبركة لمن كسب ، فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة فهنالك بهاء قدرتها وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك القائم كانت لهامته أزين من التاج ، وفى يده أقوى من صولجان الأمر والنهى ، وكان عرشها المنصوص فى قلبه أعظم تمكيناً له من عرشه الذى يستوى عليه ، لأنها من صفات الله عزّ وجل ، ولا يكون السلطان الدنيوى أقرب شبهاً إلى السلطان العلوى منه إذ يلطف العدل بالرحمة . فيا أيها اليهودى مهما يكن من استنادك فى دعواك إلى العدل فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم فى أدعيتنا . وكما نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العافين عن الناس » .

وإذا كنت قد آثرت موضوعاً جليلا للاستشهاد به هنا فلا يؤخذن من ذلك أن كل لفظة جعلها شكسبير ، حتى فى نطق أحقر أشخاصه وأقلهم شأناً، ليست هى اللفظة التى تتعين دون سواها لأداء غرضه مقوًّى بها كما هى طريقته فى الأداء التمثيلى مائة ضعف ، على اعتبار أنه إنما يخاطب بها العالمين لا فئة من الناس دون الأخرى .

أشخاص الرواية

دوج البندقية
الأمير المراكشى
أمير أراغون
أنطونيو تاجر البندقية
باسانيو صديقه
سالانيو، سالارينو، جراتيانو: أحباب لأنطونيو ولباسانيو
لورنزو عاشق لجسيكا
شيلوخ يهودى
طوبال يهودى صديق لشيلوخ
لنسلو جوبو مضحك فى خدمة شيلوخ

جوبو الهرم والد لنسلو
سالريو رسول من البندقية
ليوناردو خادم باسانيو
بلتزار، ستفانو: أجيران لبورسيا
بورسيا وارثة مثرية
نريسا تابعة لها
جسيكا بنت شيلوخ
أعيان من البندقية
ضباط دار الحكم
سجان
خدم . . . إلخ

تجرى وقائع هذه الرواية تارة فى البندقية وتارة فى قصر بورسيا بمدينة بلمنت .

عند هذا الحد أقف فى وصف هذه الرواية والتنبيه على شىء من مزاياها . وسيرى المطالع بنفسه من حسناتها فى كل فقرة وفى كل رمز ما تأخذه الدهشة لديه ويخالط عجبه منه الإعجاب به .

إن الغُرَر فى روايات شكسبير ثمان على ما أعتقد ، وهذه إحداهن . عربتهن جميعاً ، وسأوالى تمثيلهن بالطبع ، إذ هن لكل لغة حاجة وزينة ، فما بالك باللغة العربية وهى مجتمع أبحر البيان وملتقى كل حسن أدبى وإحسان .

خليل مطران

الفصل الأول

المشهد الأول

منهج فى البندقية

« يدخل أنطونيو وسالارينو وسالانيو »

أنطونيو : حقًّا لا أعرف لماذا أنا حزين حزناً يُتعبنى ، ويشق عليكما فيما أرى . إنى لأسائل ضميرى من أين جلبت أنا هذه الكآبة ، أو كيف وفدتْ هى علىّ ، أو فى أى مكان صادفتنى ، أو من أى غزل نُسجت ، أو تحت أية سماء وُلدت ، فما أكاد أحير جواباً ، بل أشعر أن بى بلاهة ، وأوشك أن أتنكر على نفسى

سالارينو : لا غرو أن يكون عقلك ضارباً فى العباب متعقباً بين النواهض والعواثر من الأمواج ، آثارَ مراكبك الضخام التى تتخطر بسواريها البواسق فوق الغمر تخطر الغطاريف الذين لهم السيادة على البحر ، أو تحلقُ من علٍ فوق جماهير الصغار المتضائلات من سوقة السفن وعامة المنشآت فيحيينها بإجلال

حين مرورها بهن سابحة ، وكأنها طائرة بأجنحتها الكتانية .

سالانيو : أيقن يا سيدى أننى لو خاطرت بمالى مثل مخاطرتك لدرجت أهوائى تتعقبُ آمالى فى تلك الآفاق البعيدة ، أو لما وجدتنى من نشدتنى إلا عاكفاً على فُريعات الأعشاب أستخبرها عن مهاب الرياح ، أو مكبًّا على صُوَر الأرض أبحثُ عن المرافئ والأرصفة والموانئ ، فأيما شيء تبينت منه أدنى بأس على أوْ ساقى ميت له جزعاً

سالارينو : بل لكان من شأنى فى مثل هذه المجازفة أننى إذا نفخت فى حسائى لتبريده ، طفقت أفطن للآفات التى قد تحدثها العواصف فى البحر فأرتعد ، وإذا نظرت إلى تناقص المزْوَلة خطرتْ على بالى الجروفُ والأغوارُ الرملية وبدت لوهمى تلك الجاريةُ الكبرى المسماة « بسنت أندرى » جانحة وقد انقلبت ساريتها الوسطى إلى ما تحت غاطسها كأنها تقبل رَمَسها . وإذا يممت الكنيسة فلاحت لى مبانيها الحجرية الممردة ذكرت من فورى تلك الصخور الصماء التى إن مست جانباً من جوانب فلكى ارتطم بها ، وألقى بما يحمله على وجه المحيط فانبثت البقولُ فوق الحباب وانتشر الحريرُ على مناكب الأمواج الهدارة ، وانتقلت أنا فى عقبها من مُلابسة الثراء إلى مُلابسة الثرى . أفى وسع إنسان أن يرى منى تلك الحالة

فلا يفهم. أن ما يشغل بالى إنما هو هذا الشاغل ؟ قولوا ما تشاؤون ، أما أنا فلا أحمل همّ أنطونيو إلا على محمل تفكيره فى مشحوناته

أنطونيو : لا وصدّقانى. ليست لحسن طالعى كل بضائعى فى موسق واحد ولا هى موجهة إلى مكان واحد فتكونَ عرضة للأخطار بل أزيد كما أننى لم أقامر بكل ثروتى فى مضاربات هذه السنة ، فكآبتى ليست من جانب مشحوناتى

سالانيو : إذن أنت عاشق

أنطونيو : لا ولا

سالانيو : فإن لم تكن عاشقاً لم يبق لنا أن نقول إلا أنك ترح لأنك غير فرح ، كما أنك بالقياس على هذا لو كنت مبتهجاً لجاز لك أن تضحك ، وترقص ، وتجهر بأنك مسرور ، لأنك لست بمحزون . حلفت بيانوس ذى الوجهين إن الطبيعة تخلق فى بعض ما تخلق أناساً مستغربين ، فئة منهم لا تنى عيونهم متيقظة على كونهم كالببغاوات ، يضحكون لأول نافخ فى مزمار يسمعهم لحناً ما ، وفئة آخرون لا يفتؤون مقطبين جباههم . إذا طرقت آذانهم نكتة من المستظرَفات التى تضحك الحليم — ولو أنه نستور الحكيم — لم تنفتقْ لها شفاههم المضمومة عن أدنى ابتسام

« يدخل باسانيو ولورنزو وغراتيانو »

سالانيو : هذا باسانيو قريبك الشريف قادماً يصحب
ولورنزو. نستودعك الله وندعك لرُفقةٍ أحسنَ

سالارينو : لو لم يجئ من هو خير مني ، لأقمت حتى أز

أنطونيو : ما أشد اعتدادي بمودتك ، لكن شؤونك تدعوك
الفرصة للانصراف إليها

سالارينو : نعمتم صباحاً يا سادة

باسانيو : إيهاً يا سادة متى نستأنف مباسطتنا ؟ قوا
لقد أطلتم هجرنا فإلام هذا الجفاء ؟

سالارينو : متى أذنت أشغالكم باللقاء ، فنحن ممتثلو أمركم

« ينصرف سالارينو وسالانيو »

لورنزو : أما وقد التقيت بأنطونيو ياسنيور باسانيو فنحن ن
إلى أن يحين العشاء فعسى ألا تنسى المكان الذ
فيه

باسانيو : ثقا أنني آت

غراتيانو : ليس في وجهك ما يدل على الصحة يا سنيو
لشدّ ما تشغلك أمور الدنيا ، ومخسرٌ من اشة
بثقال الهموم . إنك لعلى غير ما أعهد فيك من ا

أنطونيو : غراتيانو ، إنما أنظر إلى الدنيا كما يجب أن ينظر إليها باعتبار أنها ملعب لكل فيه دور ، أما دورى فكتبت عليه الكآبة

غراتيانو : وأما الذى أوثره لنفسى فدور الضُّحْـكة . لئن علتنى غضون الشيخوخة فلا علتنى إلا بين السرور واللهو . وخير لى أن تُرْمِـضَ الخمرة كبدى من أن تبددَ الأشجان أنفاسى تصويباً وتصعيداً . علام يرضى الإنسان — إذ الدمُ ما يزال حارًّا فى عروقه — أن يتشبه بالمرمر المصنوع منه تمثال جده ، فلا ينام إلا مستيقظاً ، ولا يستفيد من تدفق الكآبة الصفراء على قلبه سوى داء اليرقان . أصغ إلىّ أنطونيو . أنا أحبك ، وعن حبى مصدر الكلام الذى أسوقه إليك . من الناس من وجهه كوجه الماء الراكد به انتفاخٌ ويغشاه ما يغشى المستنقعات من مر المراءات ، يصمت عن تدبير ليذيع عنه أنه لبيب متبصر متبحر فى الأمور ، فإذا فتح فاه فكأنه قائل : « أنا صوت الوحى ، حذار أن تنبح الكلاب » . . . أى صفيّى أنطونيو ، أعرف غير واحد لم يشتهروا بالعقل إلا لعدم نطقهم بشىء ، مع أنهم لو نبسوا لآذوْا أسماع مجالسيهم ولعوملوا معاملة المجانين . سنعود إلى هذا البحث فيما بعد . انتصح بنصحى ، ولا تحاول أن تتصيد الشهوة بحبالة حزنك فهى صيد الحمق — تعال

أيها العزيز لورنزو — « لأنطونيو » وداعاً إلى هنيهة ، سأتم عظتى بعد العشاء .

لورنزو : أجل سندعكم إلى ميقات العشاء ، ولما كان غراتيانو لا يفسح لى فى الكلام ألبتة فقد رضيت أن أكون واحداً من أولئك الحكماء الصامتين

غراتيانو : لا جرم أنك لو استمررت على معاشرتى سنتين آتيتين لتعذر عليك بعدهما أن تعرف صوتك

أنطونيو : فى رعاية الله . إذا ظلت الحال هكذا ، لم تلبث أن تحولنى إلى ثرثارة

غراتيانو : أولى لك ثم أولى ، فإن الصمت لايحمد إلا فى اللسان المدخن وفى فم العذراء التى لا تبيع عرضها

« يخرج غراتيانو ولورنزو »

أنطونيو : أيوجد شىء من المعنى تحت هذا كله ؟

باسانيو : أذلق أهل البندقية لساناً ، بمثل هذه التوافه — غراتيانو — والأسباب التى يبنى عليها أقاويله ، أشبه بحبتى قمح فى مكيالين مفعمين بالتبن ، فتنش سراة النهار حتى تجدهما ، فإذا وجدتهما فما أقلهما من شىء فى جانب هذا العناء !

أنطونيو : حسن . حدثنى الآن عن تلك المرأة التى عزمت على

حجّ بيتها فى الخفاء

باسانيو : لا تجهل يا أنطونيو ما كان من تبديدى ثروتى بالتوسع فى الإنفاق منها على قلة مواردها ، وما جرّنى إليه ذلك من الديون الباهظة ، فهمى الآن — ولا يداخله شىء من خوف السقوط عن ذلك المقام الرفيع — هو أن أوفى تلك الديون كما يقتضى شرفى ، ومعظمها لك سمحت به عن وداد . فإلى ودادك اليوم ألجأ لتعيننى على تحقيق آمالى ، وتمدنى بما يوصلنى إلى أداء ما علىّ

أنطونيو : عرفنى آمالك يا صديقى باسانيو ، فإذا كانت شريفة كما أعهدك شريفاً ، فأنت واثقٌ أن مالى وشخصى وكلّ ما فى وُسعى رهنُ خدمتك

باسانيو : عندما كنت طالبَ علم اتفق لى غير مرة أن أرمى نبلاً فأفقد أثرها ، فإذا أردت الاهتداء إليها رميت أخرى فى ناحيتها ، ورقبتها فى منطلقها ، ثم مضيت فى ذلك المتجه فلم أرجع إلا وقد ظفرت بالنبلين جميعاً . ذلك لمخاطرتى بالثانية بعد الأولى. وقد قصصت عليك هذه السانحة الصبوية، لأن ما سأذكره لك لايقل عنها تفاهة. أنا مدين لك بكثير ، ويوشك ما أقرضتنى أن يكون مفقوداً ، لأن نزَق الصبى حالَ دون تبصرى فى عقبى هذا التفريط ، غير

أنك إذا أسعدتني على إرسال سهم ثان في مرمى السهم
الأول رقبته بتفطّن، وفزت يقيناً بوُجدان السهمين كليهما ،
أو عدت على الأقل بالأخير منهما . وبقيت لك عن الذى
سلف ممتناً شكوراً

أنطونيو : ما كان أغناك — على علمك بي — عن إضاعة الوقت
في الاحتيال للاستعانة بمودتي . إنك بارتيابك في خلوصي
لك لتسوءني أكثرَ مما لو أضعت عليَّ ثروتي بأسرها . قل
ما ترجوه مني فيما تعرفني قادراً عليه فقد أجبت . تكلم .

باسانيو : في قصر بلمنت غانية غنية ، وارثةٌ لجاه كبير ، جمالها
فوق ما تصف الكلم ، وخصالها لا نظائر لها . راسلتني عيونها
في بعض الأوقات ، ساكتةً والهوى يتكلم . يسمونها برسيا
ولا تقل شيئاً عن سميتها برسيا بنت كاتون قرينة بروتس ،
على أنها ليست بمغمورة الذكر ، ولا مبخوسة المهر ، فإن
نبهاء الخطاب يتوافدون إليها من كل فج وشاطئ . تتساقط
ضفائرها على صدغيها كأنها جدلتْ من ذهب . وما
من خاطب مجد ، وطالب سعد ، إلا وقد طرق بابها ،
والتمس جوابها . فيا صديقي أنطونيو لو تيسر لي أن أتقدم
بين المتقدمين في هذه المناظرة ، فإن وحياً نجياً يسر إلى قلبي
أني سأدرك قصب السبق

أنطونيو : تعلم أن ثروتى جميعها تحت رحمة المحيط ، وأنه لا يتسنى لى أن أجمع الآن من مالى مقداراً جديراً بالذكر ، فاذهب إلى البندقية واسبرْ ما تقدر على استدانته بضمانى ، فأياً كان الشيء يبلغك مرامك لم يعزّ علىّ بذله . ابحث فى كل مظنة للنقود، وسأبحث أنا كذلك ، ولعل ما للناس بى من الثقة أو مالى عندهم من الكرامة يقضيان أربك .

« يخرجان »

المشهد الثانى

بلمنت — قسم من قصر برسيا

« تدخل برسيا ونريسا »

برسيا : حقاً يانريسا إن جسمى الصغير لتعب من هذا العالم الكبير

نريسا : ما كان أحراك بهذا التعب لو أن ما عندك من اليسر أبدل بعسر ، غير أنى قد تبينت أن الإنسان يُشقيه فرطُ الغنى ،

نريسا : كان أبوك امرأً خير ، والأبرار يلهمون الخير قبل وفاتهم ، فاعتقدى أن الاقتراع الذى ناطه بهذه الصناديق الثلاثة : الذهبى ، والفضى ، والرصاصى ، وجعلك حليلة لمن يجىء اختياره وفق مراده لن يجيئك منه إلا بعلٌ جدير بحبك . على أن الخطّاب الذين تقدموا إلى الآن كثير ، أفما تقولين لى أيهم أكبر حظوة فى عينيك

برسيا : أعيدى علىّ إنْ شئت أسماءهم أصفهم ، ومن الوصف تعلمى منازلهم من رأيى

نرسيا : أولهم الأمير النابلى

برسيا : هذا حيوان لاشك فيه . يتكلم بلا انقطاع عن جواده ، ويتباهى بأنه ينعلُ الدابة بيده ، ويتقن . حتى لأخشى أن تكون أمه قد عثرت عثرةً بين يدى أحد البياطرة

نريسا : يليه الكنت البالاتى

برسيا : هذا رجل سحنته متشبعةٌ من حسن ظنه بنفسه ، كأنه يخبرك : « أترتضين بى أم لا ترتضين ؟ أبينى » . يسمع أظرفَ السير بلا تبسم ، وأخاف لشدة كآبته فى شبابه أنه إذا بلغ أخريات أيامه عاش عيشة الفيلسوف الباكى . لأوثر على الواحد من هذين أن اقترن برأس ميت ، فى فمه قطعةٌ من العظم

كما يشقيه جهد الفقر ؛ وإن السعد عينَ السعد فى الحالة الوسطى ، فإن مع الترف وشكَ المشيب ومع الشظف إمهالَ الأجل

برسيا : نعمت الحكمة ، وحبذا مجراها على لسانك

نريسا : لخير أن يُعمل بها من أن تقال

برسيا : لوكان العمل بالأصلح سهلاً كالعلم به لأغنت البيَعُ الصغرى عن الكنائس الكبرى ، ولكانت أكنانُ الفقراء هى القصور الآهلات . . .أفضل الواعظين هو ذلك الذى يتعظ بنفس أقواله ، قد يهون علىّ تعليمُ عشرين سامعاً أكثر مما يهون علىّ — لو كنت أحدهم — أن أنتصح بنفس نصائحى . العقل يسُن القوانين للحواس ، ولكن حرارة الطباع تدوس تلك الروابط الباردة . ما أشبه جنونَ الشباب بالأرنب الوثاب ، وما أشبه العقل بالشرك الضعيف ، أفلت منه ذلك الأرنب ، فمضى لغير مآب

على أن هذا القياس لا ينفعنى أدنى نفع فى اختيار زوج لى ، كيف أذكر الاختيار وما بوسعى انتقاء من يعجبنى ، ولا ردُّ من لا أحب . جُعلت إرادتى — وأنا فتاة فى اقتبال الحياة — رهنَ إرادة تقدم بها إلىّ والد هو الآن ميت . أليس شاقًّا على النفس يانريسا أن تكون الفتاة غيرَ قادرة على قبول من تود أو رفض من لا تود ؟ !

نريسا : كيف تقولين فى الشريف الفرنسوى المسيو ليبون ؟

برسيا : هكذا خلقه الله ، ولا اعتراض لى على وجود مثله بين الرجال . أعرف أن سخرية المرء من أخيه خطيئة ، لكن ذلك الرجل أكرمُ حِصاناً من النابلى ، وأقبحُ عبوسةً من الكنت البالاتى هو كل شىء ولكن لا شىء . إذا تغنى الشحرورُ ترقّص له ، وإذا لقى ظله بارزه ، فاقترانى به إنما هو اقترانٌ بعشرين زوجاً . ولو احتقرنى لغفرت له ، إذ لو أحبنى إلى الجنون لما أصاب منى سوى الاحتقار

نريسا : إذاً ما فكرك فى فلكنبردج البارون الإنجليزى ؟

برسيا : تعلمين أننى لم أخاطبه . إنه ناعم الأظفار لا يفهم كلامى ، كما أننى لا أفهم كلامه . هو يجهل اللاتينية ، والفرنسية والإيطالية ، وأنا أجهل الإنكليزية إلا كلمتين لا تقوم معهما الشهادة لدى القضاء بأننى أحسن هذه اللغة . به جمال ولكنه كجمال الصور ، وأنى لى أن أتمتع بحديث مع صورة ملبسهُ غير مألوف . وأظن أنه اشترى صدّاره من إيطاليا وسراويلاته القصيرة من فرنسا وقبعته من ألمانيا واتخذ عاداته من مختلف الأقاليم

نريسا : وما قولك فى جاره النبيل الأسكتلندى ؟

برسيا : إنه شديد الرغبة فى الإحسان إلى أخيه الإنسان ، بدليل أنه

اقترض صفعة أخيه الإنكليزى ، ثم أقسم إلا ماردها إليه
حين يستطيع ، وفى زعمى أن الفرنسى ضمن له المعونة على
هذا الرد ، لكنه زوّر صك الضمان .

نريسا : ما حكمك فى اليافع الألمانى ابن أخى دوق سكس ؟

برسيا : بغيضٌ قبل الصبوح ، وأبغض منه بعد الغبوق . يوشك فى
أحسن أوقاته أن يكون رجلا ، وفى أقبح أوقاته لا يفوق
الحيوان الأعجم إلا بشىء يسير . والخيرة لى مع ترجيح
السيئات على الحسنات أن أستغنى عنه

نريسا : لو أنه اقترع فى المقترعين وأصاب الصندوق الرابح ، أفتأبينه
لك بعلا فتخالفى إرادة والدك ؟

برسيا : ضعى كأساً كبيرةً من خمر الرين على الصندوق المقابل لذاك
يترامَ إليها لا محالة ، ويؤخذْ بهذه الحيلة ، وإلا آثرت كل
مصير أصير إليه فى الدنيا على التزوج من إسفنجة !

نريسا : لا تخشى يا سيدتى أحداً من هؤلاء ، فقد علمت بعزمهم
على العود إلى ديارهم ، وعدولهم عن الطموح إليك ، إلا
إذا وجد موفق منهم وسيلةً لاكتسابك غيرَ القرعة التى أوصى
أبوك بها

برسيا : لو عشت أطعنَ فى السن من السيبيل لمت أطهرَ فى ملمس
عفتى من ديانا ، ولم أتزوج إلا على الطريقة التى اختارها

أبى. أنا مسرورة بما عند هؤلاء الخطّاب من سرعة الإدراك، ممتنة لغيابهم جميعاً ، داعية ربى لتوفيقهم فى السفر

نريسا : ألا تذكرين ياسيدتى أنك رأيت فى حياة أبيك رجلا متأدبا ، شجاعاً من أهل البندقية ، زاركم مع الماركيز دى منفرّات

برسيا : بلى ، بلى ، وكأننى أتفطن لاسمه . . . باسانيو . . . فيما أظن

نريسا : أجل ياسيدتى ، وأحسبه أخلقَ من رأيت بأن تهواه امرأة جميلة

برسيا : أذكره جيداً ، وهو جدير بمدحتك — « يدخل خادم » — إيهاً ، ما وراءك ؟ !

الخادم : الأجانب الأربعة يلتمسون أن يروك للاستئذان بالرحيل وجاء رسول من أمير مراكش يقول إن سيده سيفد الليلة

برسيا : إذا قدر لى أن ألتقى الخامس بسرور يعادل سرورى بوداع الأربعة الآخرين ، ابتهجت بقدومه ، على أنه لو اجتمعت فيه بيضُ شمائل الأولياء إلى سواد وجه الشيطان لحبذته كاهنًا ، ونبذْته قرينًا — هلمى نريسا — « للخادم » أنت تقدمنا . بينما نحن نقفل الباب فى وجه خاطب ، إذا خاطب غيره يقرع الباب .

« تخرجان »

المشهد الثالث

البندقية ـ ساحة عامة

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوق ــ حسن بسن

باسانيو : أجل ياسيدى لثلاثة أشهر

شيلوخ : لثلاثة أشهر . حسن بسن

باسانيو : بصك على أنطونيو كما أنبأتك

شيلوخ : بصك على أنطونيو ــ حسن بسن

باسانيو : أأعتمد عليك ؟ أتسعفنى ؟ ما جوابك ؟

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوق ، لثلاثة أشهر ، بصك على أنطونيو !

باسانيو : ماقولك فى هذا ؟

شيلوخ : أنطونيو كفء لهذا القدر

باسانيو : أعندك ريب ؟

شيلوخ : لا ، لا . إذا قلت إنه كفء ، فالمعنى أنه قادر على الوفاء. سوى أن مملوكاته ليست بثابتة . له سفينة فى طريق طرابلس، وثانية فى طريق الهند ، وسمعت عن ثالثة تيمم المكسيك ، ورابعة تنحو نحو إنجلترا ، وعن سفين أخر متوزعة فى آفاق

أخر . غير أن المراكب ليست إلا خشباً ، والملاحين ليسوا إلا أناساً . دع أخطار الأمواج والأرياح والصخور . إلا أن الرجل كفء للوفاء . ثلاثة آلاف دوقى . أظن أنى أستطيع قبول صكه

باسانيو : تستطيع ولا شك

شيلوخ : سأنظر فيما إذا كنت قادراً ، وأفكر فى الأمر قبل البتّ فيه ، أيتسنى لى أن أكلم أنطونيو ؟

باسانيو : إن أحببت تناول العشاء معنا

شيلوخ : نعم لتشمّ منى ريح الخنزير ، وليدخل فى جوفى ذلك الحيوان الذى دعا عليه نبيكم الناصرى ، فأسكن فيه الشيطان . حبّاً لكم إن تكن بينى وبينكم مبايعة أو مشاراة ، أو محادثة ، أو مماشاة إلخ . أما المؤاكلة ، والمشاربة ، والمشاركة فى الصلاة فلا . ما أخبار التجارة فى المصفق — من القادم ؟

« يدخل أنطونيو »

باسانيو : السنيور أنطونيو

شيلوخ : « منفرد » ما أظهر الرفض على وجهه المرائى بالتقوى . أبغضه لأنه نصرانى ، وخصوصاً لأنه جاهل أبله ، يقرض

المال بلا ربح ، ويسقط قيمة النقد فى البندقية . لئن أخذت بتلابيبه يوماً لقد شفيت حزازاتى القديمة منه . هو يبغض أمتنا المقدسة ويسخر — حتى فى المصفق الذى يجتمع فيه التجار عادة — منى ومن معاملاتى ومن أرباحى المحللة التى ينعتها بالرِّبوية . لعنت عشيرتى إن كنت غافراً له هذه الذنوب

باسانيو : أسمعت ما أقول ؟

شيلوخ : كنت أحسب ما بين يدى من النقود ، ويخيل إلىّ — إن صدقت ذاكرتى — أنى لا أستطيع فى الحال تجهيز ثلاثة آلاف دوقى كاملة . بل يخطر لى أن طوبال — وهو من أغنياء قومى — يجيبنى إلى ما أطلب . لكن مهلا ؛ إلى أى أجل «مخاطباً أنطونيو» عم صباحاً ياسيدى ، كنا فى ذكراك

أنطونيو : شيلوخ . إننى على كونى لا أقرض ولا أقترض بربح أجدنى مضطرًّا إلى مخالفة مألوفى قضاء لحاجة صديقى «إلى لنسلو» «أيعلم المقدار الذى تطلبه ؟

شيلوخ : نعم ، نعم ، ثلاثة آلاف دوقى

أنطونيو : لثلاثة أشهر

شيلوخ : كنت قد نسيت . لثلاثة أشهر كما قلت آنفاً . بصكٍّ منك .

حسن بسن . لننظر قليلا . لكن أما سمعت أنك لا تأخذ ولا تعطى بالفائدة

أنطونيو : بلى ، والحق ما سمعت

شيلوخ : عندما كان يعقوب يرعى سائمة عمه لابان — ويعقوب هذا بفضل أمه الحكيمة هو الثالث من نسل سيدنا إبراهيم . . .

أنطونيو : علام تستشهد به ؟ أفتزعم أنه كان يقرض بالربا ؟

شيلوخ : لا لم يكن مقرضاً بالربا . لم يكن ذلك ما يفعله بحصر المعنى ، وإنما كان المتفق عليه بينه وبين لابان أن كل الخراف التى تنتج معلمة بلونين ، تجعل أجراً ليعقوب . فلما كان آخر الخريف وحالت النعاج ، فالتمست ذكورها ، خطر لراعيها الفطن أن يقتطع قضباناً يعريها من قشورها ، ويضعها تجاه النعاج وقت ضرابها ، فنجم من رؤيتها أن النعاج نتجت حملاناً مخططة الجلود بلونين ، وهذه الحملان حقت ليعقوب . فهذه وسيلة من وسائل الكسب بارك الله ليعقوب فيها . وكل ربح — ما لم يجئ من السرقة — فهو حلال

أنطونيو : كان يعقوب يخدم على كراء لا يسعه استزادته ، ولا الانتقاص منه إلا ما يشاء الله وما لا يستطيعه أحد سواه . أفتعد هذا مثلا مبيحاً للربا ؟ وهل ذهبك وفضتك نعاج وكباش ؟

شيلوخ : ما أدرى ، ولكننى أستنتجها بمثل تلك السرعة . تنبه لهذا ياسيدى !

أنطونيو : وأنت يا باسانيو تفطّن ، إن الشيطان يستطيع الاستشهاد بالتوراة لتصويب أعماله ! فما مثل النفس الشريرة التى تجىء بتلك الاستشهادات الصالحة إلا مثلُ المجرم الذى يبتسم ، أو الثمرة الناضرة التى لبها متعفن . ما أكثرَ الظواهرَ الخادعة التى تشبه الرذيلة بالفضيلة !

شيلوخ : ثلاثة آلاف دوقى ــ مقدار جُسام . ثلاثة آلاف فى اثنى عشر ؟ لننظر : ما تكون فائدتها ؟

أنطونيو : مهما تكن . أفتقضى حاجتنا ؟

شيلوخ : يا سنيور أنطونيو طالما صادفتنى فى مصفق الريالتو فسخرت من أعمالى المالية ومن مراباتى ، فلم أقابل ذلك إلا برفع الكتفين ، وجميل الصبر لأن الألم هو إحدى الآفات التى خصت بها أمتنا . وطالما نعتنى بالكافر ، أو الكلب الكلِب ، وبصقت على عباءتى التى يعرف منها الناس يهوديتى ، كأنك تعيبنى لاستعمالى ما هو ملكى . أما الآن فيظهر أنك فى حاجة إلىّ : « شيلوخ نريد منك نقوداً » من يقول لى هذا ؟ أنت يامن ينفثُ فى لحيتى لعابه ، ويطردنى من حضرته ركلاً ، كما يطرد الكلب الأجنبى من عتبة البيت . تطلب منى مالا !

فيم ينبغى أن أجيب ؟ أيحرز الكلب نقوداً ؟ أيعقل أن كلباً يقرض ثلاثة آلاف دوق ؟ أم يتعين علىّ أن أخرّ إلى الذقن، وأن أرد عليك بصوت خافت ، وقلب خاشع : « يامولاى الجميل ! يوم الأربعاء المنصرم بصقت فى وجهى ، ويوماً قبله طردتنى ضرباً برجليك ، ويوماً قبله دعوتنى بكلب ، فقياماً منى بحق تلك المكارم كلها سأقرضك نقوداً » ؟ !

أنطونيو : من المحتمل أنك ستجدنى مسمياً لك بتلك الأسماء ، أو باصقاً فى وجهك ، أو طارداً إياك برجلى ؛ فإن كنت راغباً فى إقراضنا المالَ فلست دائناً به أصدقاء ، وأنىَّ للصداقة أن تتولد من حيث لارحم ؟ أنت تقرض عدوًّا فإذا أبطأ عن الإيفاء فى الأجل، كنت فى حلّ من تَخْريط القانون عليه بكل قوته

شيلوخ : انظر كيف تستشاط . أريد أن أكون صديقاً لك ، وأن أحصل على عطفك ، وأن أنسى ازدراءك إياى ، وأن أقضى حاجتك الراهنة ، بلا تقاضى فائدة ما ، وأنت تأبى سماع ما أعرضه عليك من جميل العرض

أنطونيو : لو فعلت لبالغت فى الإجمال

شيلوخ : سأثبت لك مجاملتى — لنذهب إلى محرر عقود فتخطّ الصك لديه ، ومن باب المزاح سأستكتبك إقراراً بأنك إذا لم تدفع

زُهاء ذلك الخط فى يوم كذا بمكان كذا توجب لى عليك اقتطاع لبرة من لحمك فى المكان الذى أختاره من جسمك . . .

أنطونيو : أوافق بارتياح على هذا الاقتراح ، وسأوقع على الصك محرراً بهذا النص ، شاكراً لك هذه المجاملة اليهودية

باسانيو : لن تخط خطاً كهذا لأجلى أبد الدهر !

أنطونيو : لاتخش بأساً ياصفيي ، سأقوم بعهدى ، فبعد شهرين ، أى قبل الأجل بشهر ، تردُنى أوْ ساقٌ بثلاثة أضعاف هذا القدر

شيلوخ : يا أبانا إبراهام ! هؤلاء النصارى عجب أمرُهم . . ساءت فعالهم فقبحتْ بالناس ظنونهم . أنت مخبرى ماذا أكسب من إنفاذ هذا الشرط إذا لم يف المدين بما عليه . للرطلُ من لحم رجل أقل قيمةً من رطل الضأن أو البقر أو الماعز . إنما أفعل هذا توسلاً به إلى مودته ، فإن رضى فبها ونعمت ، وإلا فأستودعكم الله راجياً ألا تبتغونى بشرّ من حيث أردت لكم الخير !

أنطونيو : أجل شيلوخ ، سأوقع على هذا الصك

شيلوخ : فتفضل رانتظرنى لدى محرر العقود ، وقل له : أن يخط هذا الشرط المضحك ، أما أنا فأمضى لجلب الدوقيات وإلقاء نظرة فى بيتى الذى يحرسه ماهنٌ مكسال ، لا ينبغى لرب البيت أن يستنيم لهمته ، ثم أدرككم :

« يخرج »

الفصل الثانى

المشهد الأول

بلمنت ــ قسم فى قصر برسيا

« يدخل أمير مراكش مع أتباعه وبرسيا مع أتباعها ونريسا »

« معازف »

الأمير : لا تنفرى من سمرة أديمى، فإنها مَسحة من جوار الشمس لى فى مسقط رأسى . على أنك لو جئتنى بأبهى رجل من أهل هذه الأقاليم الشمالية التى لاتكاد أشعة النهار تذيب صَقيعها لواقفته موقف الفِصاد، وأشهدتك من منَّا دمه أشد احمراراً ؟ ثم اعلمى ياسيدتى أن رؤيتى طالما أرعدت الشجعان ، كما أنها ــ وحبك ــ طالما كانت قيدَ الأوابد من الحسان فى أوانس بلادى ، ولئن حدانى شىء على التبدل بلون مُشْرِقٍ من لونى القاتم لما كان إلا ابتغائى رضاك يا مليكتى !

برسيا : لن أجعل إيثارى قائماً على ما تشهد به عيناى ، وأنا فى عهد طفولتى واغترارى ، بل أنا تابعة لحكم القرعة دون

اختيارى ، ولولا أنى مقيدة بهذا القيد الذى إنما جعلت به زوجاً للموفق فى فطنته ، لما كان بين الخطّاب الذين رأيتهم واحد أولى منك بعطفى

الأمير : هذا كثير وأشكره لك . . . ثم أستزيدك جميلا : أن تدلينى على موضع تلك الصناديق ، فأتبين بختى . حلفت بهذا الحسام الذى قتلت به صوفياً وصرعت أميراً أعجمياً ، وأحرزت النصر العزيز فى ثلاث وعكات ، جرت بينى وبين السلطان سليمان ، لو اقتضانى غرامى أن أردّ كل سامى الطرْف ناكس البصر ، أو أن كافح كل قرم عنيد قهار شديد ، بل لو سامنى انتزاع رضيع الوحش الضارى عن ضرع أمه ، أو مناوأة الضيغم الهصور وقد استفزه القوم ، لفعلت طمعاً فى الظفر بك ، ولكنه — واحَربا — أمر منوط بالمقادير ، والمقادير ربما سددت سهمَ الضعيف وأطاشت سهم القدير ، وربما أدنت حظ الآجر وأعلت حظ الأجير ، فههنا مجال المكره ، لا البطل ، وإنى لأخشى أن أخفق حيث يفوز من هو دونى فأموتَ بشجونى

برتسيا : أمامك اثنان لا ثالث لهما ، إما أن تعدل وإما أن تصيب ما يقضى به لك الصندوق الذى تعيّنه ؛ هذا بعد أن تقسم على أنك إن أخفقت لم تتخذ لك زوجاً بقية عمرك . تفكر ثم تخير

الأمير : رضيت بهذين الشرطين : لنمض فأعلمَ ما يقضى به طالعى

برسيا : بل نذهب أولا إلى حيث تحلف يمين الموافقة ، وبعد العشاء تشرع فى الخيرة

الأمير : أسأل الله إنجاح قصدى فإنى بعد هذا الاقتراع : إما أسعد الخلق ، وإما أتعسهم .

المشهد الثانى

البندقية ــ جادّة

« يدخل لنسلو جوبو »

لنسلو : ضميرى يحتم علىّ أن أترك خدمة اليهودى مولاى . والشيطان على مقربة منى ، يخادعنى بقوله : جوبو ، لنسلو ، ياصديقى لنسلو ، أو يا صديقى جوبو ، أو يا صفيّى لنسلو جوبو ، أعملْ فخذيك ، وانجُ بنفسك. ثم يقول لى ضميرى : حذار يا لنسلو النزيه ، حذار ياجوبو المستقيم ، أو كما كنت أقول آنفًا : أيها النزيه لنسلو جوبو
لا تبرح ، وترفع عن إجهادْ فخذيك فى الهزيمة . إلا أنه ــ أى الشيطان ــ لا يلبث أن يعيد علىّ نصيحته بالارتحال متشدداً

فيها مهيباً لى : « أقلع . تشجع . أنجُ بنفسك » . عندئذ يعلق ضميرى برقبة فؤادى ، ويقول لى عن حكمة : « ياصديقى لنسلو القويم ، ابن الرجل المستقيم وابن المرأة المستقيمة» — ذلك أن والدى كان يذوق الثمرة التى بين يديه ولا يخلو من سلامة فى الذوق. عندئذ يقول ضميرى: « البث لنسلو »، فيقول الشيطان : « فراراً » فيقول الضمير : « إياك » ، فأقول لأحدهما : « يا ضميرى حسنت نصيحتك» . ثم أقول للآخر « أيها الشيطان أين الصواب فى مشورتك » . لو جاريت الضمير لأقمت مع اليهودى الذى هو — أستغفر الله — ضربٌ من الشيطان ، ولو فارقت اليهودى لأصبح زمامى فى يد الشيطان الذى هو — ولا مؤاخذة — الشيطان بعينه ، وهذا اليهودى بشخصه . وبذمتى إن ذمتى لتركب الشطط حين تنصح لى بالمكث عند اليهودى . وإنما الشيطان هو الذى ينصح لى نصيحة الصداقة . سأفرّ ، سأفرّ . أمرك مطاع أيها الشيطان

« يدخل جوبو العجوز حاملا سلالا »

جوبو : ياسيدى الفتى ، أين الطريق التى توصل إلى بيت اليهودى ؟

لنسلو : «منفرداً» يالله ! هذا أبى ، والدى بالحلال ولم يعرفنى لشدة حَسَرِه ! سأختبره اختبارَ مداعبة

جوبو : ياسيدى الفتى ، أين الطريق التى توصل إلى بيت اليهودى ؟

لنسلو : عندما تصل إلى العطفة الأولى تحيد يميناً ، فإذا بلغت العطفة الثانية تحيد شمالاً ، ثم تدرك العطفة الثالثة ، فهناك لا تحيد إلى جهة من الجهات وتتجه بانحراف إلى بيت اليهودى

جوبو : يا فيض الله ، هذه طريق لاتسهل معرفتها . أأنت مخبرى إن كان الفتى المقيم معه — واسمه لنسلو — مقيما معه أم لا ؟

لنسلو : أتسأل عن المسيو لنسلو الأصغر «منفرداً» تأملوا فىّ الآن سأستدرّ المياه — أتسأل عن المسيو لنسلو الفتى ؟

جوبو : لا ياسيدى ، ولكن عن ابن رجل فقير أنا أبوه — وإن كنت أنا مدّعى هذه الدعوى، رجل مستقيم معسر ، مدْقِعٌ ، لكنه — بحمد الله — حسن السيرة والأخلاق

لنسلو : لا يهمنا أبوه كائناً من كان ، وإنما نتكلم على لنسلو الأصغر

جوبو : أجل ، بإذنك نتكلم على لنسلو

لنسلو : لا تتكلم على لنسلو أيها الشيخ بعد الآن ؛ فإن ذلك

الشاب قد أذن به الدهر أو القدر أو أى مسمى آخر
بأسماء الصروف الصارمة لحبال الآجال من علمية وغير علمية
فمات موتًا ، أو بعبارة أشيع فى العامة ذهب إلى السماء .

جوبو : أعفانى الله من هذا المصاب ، فالفتى هو سندى ،
وحيدى ، عكاز شيخوختى

لنسلو : أظاهر علىّ أنى أشبه عصاً أو هراوة أو دعامة خيمة
أتبينتنى يا أبى ؟

جوبو : لا يا سيدى الفتى ، لكن أرجو أن تقول ولدى (رحمه الله)
حىّ أم ميت

لنسلو : ألم تعرفنى يا أبت ؟

جوبو : أسفًا يا سيدى إن نظرى ضعيف ولم أتبينك

لنسلو : لو كان بصرك سليمًا . . . ومن هو فى الآباء ذلك الفطن
الذى يعرف ابنه . . . أيها الشيخ . سأعلمك بأنباء نجلك.
باركنى « يجنو» ينبغى أن يبرح الخفاء . القتل لايخفى دهراً
ولكن انتساب الولد لأبيه قد يستتر طويلا ثم تنجلى الحقيقة

جوبو : أرجو يا سيدى أن تنهض ، فإنى موقن أنك لست بلنسلو ولدى

لنسلو : لا تتماد أكثر فى هذا المزاح ، باركنى ، أنا لنسلو
غلامك سابقًا ، ونجلك الآن ، وابنك إلى الأبد .

جوبو : لا أصدق أنك ابنى

لنسلو : لا أدرى ما الذى يحسن بى اعتقاده فى هذا المعنى ؛ لكننى أنا لنسلو الماهن لدى اليهودى، وعلى ثقة لا ريب فيها من أن امرأتك مرغريتا هى أمى

جوبو : اسمها فى الحقيقة مرغريتا ، غير أنى لم أكن لأقسم أنك لنسلو من لحمى ودمى . تبارك الله ما هذه اللحية التى صار الشعر فيها أكثر منه فى ذنب «دوبين» حصاننا الجرار

لنسلو : إذن شعر دوبين ينمو خلافًا ، لأننى فى آخر ما رأيته كان الشعر فى ذنبه أكثر منه فى ذقنى

جوبو : لقد تغيرت . كيف حالك مع مولاك — أنا قادم إليك بهدية ، أعلى وفاق أنتما ؟

لنسلو : على المرام، على المرام. لكننى أنا قد عزمت على الهزيمة إلى
: أبعد ما أستطيع عن ذلك اليهودى القحّ . أتهاديه ؟ أولى لك أن تضع حبلاً فى عنقه وتشدّه . أماتنى جوعًا ، وهذه أضلاعى تقدر أن تعدّها بأصابعك . يا أبت أنا مسرور بمجيئك . آثر بهديتك سيداً يدعى با سانيو . فإنه يلبس خادمه خلعًا فاخرة نفيسة ، فإن لم يتيسر لى أن يستخدمنى هذا السيد ، لبثت أفرّ ما دام فى الأرض طول وعرض . يا لسعد طالعى ! ها هو ذا آت بنفسه. كلّمه يا أبى وإلاّ

فإنى إذا استمررت تحت أمر اليهودى صرت يهودياً

« يدخل باسانيو يليه ليوناردو وبعض خدم »

باسانيو : « مخاطباً خادماً » ليكن . قبلت . لكن ينبغى الإسراع ليتسنى تهيؤ الطعام الساعة الخامسة . احرص على إيصال هذه الرسائل . أوص بالخلع الجديدة . قل لغراتيانو أن يجيئنى بعد حين

لنسلو : كلمه يا أبى

جوبو : ليبارك الله فى سيادتك

باسانيو : شكراً جزيلاً . أتبغى مخاطبتى فى شىء ؟

جوبو : هذا غلامى يا سيدى ، وهو غلام فقير

لنسلو : لست فقيراً يا سيدى ، ولكننى ماهن لدى اليهودى الغنى ، وملتمسى هو ما سيعرضه والدى لسيادتك

جوبو : هو مريض تشوقاً لخدمة . . .

لنسلو : بلا تطويل ولا تقصير ، أنا فى خدمة اليهودى ؛ وأتمنى ما سيعرضه أبى . . .

جوبو : ولا يخفى على سيادتكم أن اليهودى وهذا الغلام ليسا بابنى عم ، بمعنى أنه . . .

لنسلو : بعبارة موجزة : اليهودى أساء التصرف فى حقى ، وهذا هو

السبب فى الأمر الذى سيقترحه والدى الذى هو — كما أرجو — طاعن فى السن !

جوبو : أنا حامل إلى سيادتك بضعة أزواج من الحمام ، هل لك فى قبولها ؟ والتماسى هو . . .

لنسلو : الخلاصة أن هذا الطلب جائز القبول ، كما سيذكره لسيادتك هذا الشيخ المستقيم، الذى هو فقيرٌ ، وفوق ذلك هو والدى . . .

باسانيو : ليتكلم أحدكما عن الآخر . ماذا تريدان ؟

لنسلو : ألتمس الدخول فى خدمتك يا سنيور

جوبو : هذا كل ملتمسنا

باسانيو : « إلى لنلسو » أعرفك جيداً وأجيب طلبك . كان شيلوخ يكلمنى عنك فى هذا اليوم ، وسيكون له الفضل فى رقيك إن كان من الرقى الانصراف عن خدمة يهودى موسر، إلى خدمة شريف معسر

لنسلو : صدق المثل القديم : لقد تقاسمتما النعمتين أنت وشيلوخ : له الأولى ، ولك الأخرى

باسانيو : صدقت « إلى جوبو » اتبع غلامك أيها الوالد الصالح « إلى لنسلو » اذهب فاستأذن مولاك السالف ، ثم استفهم عن دارى « إلى خدمه » ألبسوه خلعة أبهجَ

زينة من خلع رفاقه . . . « ياجى ليوناردو »

لنسلو : يا أبى أصبح الحرج فى الحرج — أنا لا أعرف كيف تلتمس الخدمة ، ولا كيف يستعمل اللسان « ناظراً يده » أما يدى فأية يد ممتدة للقسم على التوراة فى جميع إيطاليا تتشبه بها ؟ سأكون سعيد الطالع . . . لا جرم . هذا الخط يدل على طول البقاء كما أرجو . وهؤلاء ، فى جانب الزواج ، نسوة شائقات ، لكنهن لسن بكثيرات ، وماذا تكون ؟ خمس عشرة امرأة ، وإحدى عشرة أيماً وتسع بنات . هل هن زيادة عن الكفاء للرجل المستقيم . هذا عدا نجاتى ثلاث مرار من الغرق ، ومرة من هلكة السقوط عن حافة فراش من الريش . على أن هذه النجاة الأخيرة ليست بعجيبة ، ولكنها نجاة . ولئن كانت السعادة امرأة فلا شك أنها أحسنت عجن المادة التى فتلت لى منها هذه الخيوط . تعال يا أبى ، سأستأذن اليهودى فى طرفة عين

« يخرج لنسلو وجوبو »

باسانيو : « مخاطباً ليوناردو » أتضرع إليك أيها العزيز ليوناردو . تنبه لهذا ، ومتى اشتريت تلك الأشياء ورتبتها عد وشيكاً ، ليتم بك أنسنا الليلة ، فى مجلس شراب سيشهده

عندى أكرم أصدقائى . اذهب . بادر

ليوناردو : سآتى بأحسن ما أستطيع . « يدخل غراتيانو »

غراتيانو : « مخاطباً ليوناردو » أين مولاك ؟

ليوناردو : ها هو ذا يتمشى هناك « يمضى ليوناردو »

غراتيانو : « جهراً » سنيور با سانيو . . .

باسانيو : « ملتفتاً » غراتيانو

غراتيانو : لى اقتراح عليك

باسانيو : قد أجيب

غراتيانو : ذلك ما ألح به : سأصحبك إلى بلمنت

باسانيو : إذا أصررت لم أخالف ، لكن سمعاً يا غراتيانو : من مألوفك أن تتكلم بلا احتراس ، وتجهر بالصوت . فهذا ليس بعيب فيما بيننا ، ولكن ربما لم يحسن حيث تكون مجهولا — فتكرمْ ولطِّف حدة طبعك ، بأن تضع فيها بعض نقط من الاحتياط ، والتواضع ، وإلاّ فربما جلبت خطتك علىّ ما يضر بى فى رأى الأناس الذين أقصدهم ، بل ربما قوّضت آمالى

غراتيانو : أنصت يا سنيور باسانيو : إذا لم تجدنى ثمة معتدلاً فى سيرى ، متكلماً بوداعة ، ممتنعاً عن ألفاظ الهجر إلا أحياناً ، ممسكاً بكتب الأدعية والتلاوات الدينية ، جاداً

في كل مقام ، جاعلاً في أوان الصلاة قبعتي نصبَ عينيّ
هكذا ، فتنهداً ، فقائلاً : آمين ؛ مراقباً كل مصطلحات
الأدب على نحو ما يفعل اليافع الذي يحاول إرضاء
جدته . . . إذا لم تجدني فاعلاً كل ما ذكرت فلا كانت
لك بي ثقة ، ولا كان لك عليّ معوّل

باسانيو : رضيت ، وسأرى المنهج الذي تنهجه

غراتيانو : لكنني أستثني مجلس الليلة وما سيجري فيه

باسانيو : خسارةٌ في مثل هذه الليلة أن تفقد طلاقتك ، بل ينبغي أن ترتدي أحسن أزياء الابتهاج فيكتملَ بك سرور الإخوان أفضل ما كانوا استعداداً لذلك . سأتولى عنك الآن لقضاء بعض الشؤون

غراتيانو : وأنا أنتظر هنا لورنزو ورفقاءه ثم نجيئك جميعاً في ساعة العشاء .

المشهد الثالث

نفس المدينة ـ مزارة فى بيت شيلوخ

« تدخل جسيكا ولنسلو »

جسيكا : أنا متكدرة لتركلك أبى ، وستكون لك وَحشة فى هذا البيت الجهنمى ، الذى كنت تؤنسه أحياناً . امض مزوّداً ، وهذا دوقىّ هبة . لنسلو سترى لورنزو بين مدعوى سيدك الجديد للعشاء فأعطه هذه الرسالة ، لكن سرًّا . اذهب . لا ينبغى أن يرانى أبى أحدثلك .

لنسلو : وداعًا ، وإليك هذه العبرات بدلاً من العبارات . ياللك من وثنية ساحرة، بل يهودية شائقة ! لئن لم يكن واحد من هؤلاء النصارى ساعيًا مسخاة اللص للفوز بلك ، إنى إذن لغرّ . لكن هذه الدموع قد استغرقت شجاعتى ، وأذابت صلابتى . أستودعلك السلامة « يخرج »

جسيكا : « منفرة » اذهب معافى يا لنسلو . ما أظلمنى لأبى بخجلى من انتسابى إليه ! لكننى مخالفة له فى الطبع ، وإن كان الدم واحداً . أى لورنزو إذا صدقت بوعدك

فررت إليك من هذا المعترك الأليم ، فصبأت عن
دينى ، وبت على مذهب قرينى «تخرج»

المدينة عينها ـ جادّة

« يدخل غراتيانو – لورنزو – سالارينو– سالانيو»

لورنزو : أجل سنتسلل فى أثناء الوليمة فنغير أزياءنا فى دارى ، وبعد ساعة نعود

غراتيانو : لم نستوف أهبتنا

سالارينو : لم نتكلم بعد عن موكب المشاعل

سالانيو : بئس الاختراع ، إلا إذا صفف بإبداع ، وعندى أن الاستغناء عنه أفضل .

لورنزو : الساعة إنما هى الرابعة الآن ولدينا فسحةُ ساعتين لإعداد كل شىء

« يقدم لنسلو بكتاب »

لورنزو : «متمماً» ما أخبارك يا صاحبى لنسلو ؟

لنسلو : إن شئت أن تفتح هذا الكتاب علمت

لورنزو : تبينت الخط ، وهو جميل ، حررته يد بيضاءُ أنصع
من هذا الطرْس

غراتيانو : ألوكة غرام ولا ريب

« لنسلو متأخراً للانصراف »

لنسلو : بإذنكم يا مولاى

لورنزو : إلى أين ؟

لنسلو : إلى حيث اليهودى مولاى العتيق ، أدعوه لتناول العشاء عند
النصرانى مولاى الجديد

لورنزو : « معطياً إياه كيساً» مهلاً ، خذ هذا . قل للعزيزة جسيكا إننى
سآتى فى الميقات . قل لها ذلك سرًّا . انصرف

« يبتعد لنسلو»

لورنزو : « متمماً » أيها السادة : أتريدون أن نتأهب لمهرجان
السخرية فى هذا المساء ؟ قد تيسر لى حامل مشعل

سالارينو : سأمضى من فورى

سالانيو : وأنا أحذو حذوك

لورنزو : أدركانى وغراتيانو فى دار اليهودى بعد ساعة

سالارينو : لن نتخلف

« يبتعد سالارينو وسالانيو»

غراتيانو : ألم يكن الكتاب من جسيكا الجميلة ؟ !

لورنزو : يجب أن أطلعك على كل سر . بعثت تسألنى كيف أختطفها من بيت أبيها ؟ وكيف تنجو بما ستحمله من الذهب والحجارة الكريمة ؟وتخبرنى أنها استصنعت خلعة وصيف لتختفى بها على الرقباء . لو تقبل الله أباها يوماً فى السماء ، لتم له ذلك بشفاعة تلك الكريمة الحسناء ، ولو استجاز مصاب أن يعترض سبيلها لما ترخّص المذلك إلا من كونها ابنة يهودى بلا إيمان . هلمّ بنا واقرأ هذه فى الطريق. ستكون جسيكا حاملة مشعلى .

« يخرجان »

المشهد الخامس

البندقية ــ أمام بيت شيلوخ

« شيلوخ ولنسلو »

شيلوخ : سترى عما قليل بعينيك سعة الفرق بين شيلوخ العجوز وباسانيو « يدعو » جسيكا ــ لن تأكل الحلوى بشراهة كما كنت تحلْولى عندى ــ جسيكا ــ لن تقضى معظم وقتك فى

النوم والغطيط وتمزيق ثيابك — جسيكا أتحضرين ؟

لنسلو : « منادياً » جسيكا

شيلوخ : من كلفك أن تدعوَها ؟

لنسلو : طالما وبختني لأنني لا أصنع شيئاً إلا بأمر

« تجيء جسيكا »

جسيكا : أتدعوني ، ماذا تريد مني ؟

شيلوخ : سأتعشى اليوم خارجاً يا جسيكا . هذه مفاتيحى . لكن علام أذهب ؟ لم يدعونى عن حب — مأربٌ لا حفاوة — بل أذهب انتقاماً منهم لآكل من نفقة ذلك النصرانى المسرف : بنيّتى جسيكا راقبى الدار . سأتغيب برغمى خائفاً من كيد يكاد لى ، لأننى رأيت أكياس فضة فى منامى أمس

لنسلو : أضرع إليك يا سيدى أن تذهب ، فإن مولاى الجديد قد عوّل على وعدك

شيلوخ : وأنا معول على وعده كذلك

لنسلو : ولقد أضمروا شيئاً لهذه الليلة ، وأسروا النجوى فيما بينهم . لن أبوح بما أخفوه ، لكنك إذا رأيت الليلة مهرجان أناس متنكرين لم يكن ذلك إلا مصداقاً لرُعاف أنفى يوم الاثنين المنصرم المعروف فى التاريخ باليوم الأسود فى الساعة السادسة

صباحاً ، على حين أن الرعاف الذى جرى لى قبله إنما كان فى يوم أربعاء الرّماد نحو الأصيل

شيلوخ : سيتنكرون ؟ اسمعى يا جسيكا . غلقى الأبواب بإحكام وإذا سمعت طبلاً وزمراً نزاز النغم فحذار حذار أن تذهبى إلى الكوة ، أو أن تطلى بوجهك على الجمهور لترى الوجوه المستعارة التى يطوف بها أولئك النصارى البلهاء . أقفلى آذان دارى « النوافذ » ، ولا تصل ضوضاء أولئك المجانين إلى بيتى الساكن الأمين . قسماً بعصا يعقوب إننى ذاهبٌ فى هذا المساء إلى تلك الوليمة بكرهى وبلا أدنى رغبة منى لكننى سأذهب « إلى لنسلو » اسبقنى وقل إننى قادم

لنسلو : سأسبق يا سيدى « بصوت منخفض لجسيكا » لا يمنعك هذا من التطلع فربما جاءك نصرانى موعود ، خليق بمودة كرائم اليهود « ينصرف »

شيلوخ : ماذا يقول هذا الغر من نسل هاجر ؟

جسيكا : قال وداعاً يا مخدومتى ولم يزد

شيلوخ : غلام لا بأس به . لكنه أكول نهم بطىءٌ فى العمل ، نؤوم ، كالسنور البرىّ ، أنا لا أحب الزنابير فى خليتى ؛ ولهذا طبت عنه نفساً لغيرى ، فليعن مولاه الجديد على إنفاق المال الذى أقرضته إياه بسرعة . عودى ياجسيكا ، ولعلى

لا ألبث أن أرجع . افعلى ما أوصيتك به . غلقى الأبواب :
« من احتبس ، لم يحترس » ! هذا مثل دائم الحضور فى
ذهن المقتصد « يبتعد »

: أستودعك الله . ولئن تحقق ما نويت لقد فقدت أبى وفقدت
أنت ابنتاك « تبتعد »

المشهد السادس

عين المكان

« يدخل غراتيانو وسلارينو متنكرين »

غراتيانو : هذا هو الرّواق الذى أوعز إلينا لورنزو أن ننتظره فى فيئه

سالارينو : مضت الساعة أو كادت

غراتيانو : عجيب أن يتباطأ وما هذا شأن العاشقين ؟

سالارينو : من عادة حمائم الزّهرة أن يطرنَ إلى عقد مودات جديدة
بأسرع مراراً مما يجشمن للبقاء على مودة قديمة

غراتيانو : ستكون الحال أبداً هكذا : أى الضيوف وقد فارق
المائدة تكون شهوته للطعام كما كانت حين جلوسه إليها ؟أى

جواد إذا رُدّ في الطريق الوعرة التي جازها من قبل ، لا يتباطأ في الرجوع ؟ في كل أمور هذه الدنيا نحن أنشط حين نسعى إلى المطلوب منا حين نتمتع به . انظر إلى الفُلك إذ تفارق مرفأها الأصلي فراق الولد الشاطر لبيت أبيه ، فتنشر رايتها الزاهية الألوان ، يداعبها الهواء دعاب الهوى ، ثم انظر إليها تعود عودَ ذلك الولد الشاطر ماويةَ الأضلاع ممزقة الشراع مهدمةَ الجوانب بفعل النسيم الفاسق « يجيء لورنزو » هذا لورنزو ، سنستأنف الكلام في هذا

لورنزو : يا أصدقائي الأعزاء ، اغفروا لي إبطائي المملّ ، فإنما أعمالي التي سببته . وإني لأعدكم ، بأن أنتظركم ما شئتم حين يخطر لكم أن تختطفوا عرائس « يتقدم » هذا بيت اليهودي نسيبي — هيا ، أأحد هنا ؟

جسيكا : « بملابس الوصيف تنظر من النافذة » من أنت ؟ تسمّ لأزداد طمأنينة ، وإن عرفت الصوت

لورنزو : حبيبك لورنزو

جسيكا : لورنزو محقق ، حبيبي بلا ريب ، ألي عندك من الهوى ما لك عندي ؟

لورنزو : السماء وقلبك يشهدان بصدق غرامي

جسيكا : « ملقية صندوقاً » تناول هذا الصندوق . فيه ما يستحق

هذا العناء . أنا فرحة بأن الوقت ليل ، وأنك لا تستطيع رؤيتى ، لأنى خجلة من تنكرى بهذا الملبس . إنما الغرام أعمى ، وليس للمتحابين أن يروا هم آثار جنونهم، إذ لو قدروا على استجلاء الحقيقة لخجل الغرام نفسه من تشكلى بهذا الشكل

لورنزو : انزلى فقد جعلتك حاملة مشعلى

جسيكا : ما تقول ؟ أبيدى أحمل النور الذى يكشف فضيحتى ، على كونها أجدرَ بالإخفاء لشدة وضوحها . لا بد لى من الاستتار

لورنزو : حسبك استتاراً يا حبيبتى فى ثوب الوصيف ، أسرعى لأن الليل يتقدم ونحن منتظرون فى وليمة باسانيو

جسيكا : سأقفل الأبواب وأجلب ما أستطيعه من الدوقيات

« تتوارى من النافذة »

غراتيانو : حلفت بقبعتى إنها لطيفة وليست يهودية

لورنزو : أقسم لكم إننى أحبها بكل جوارحى ، لأنها حصيفة متبصرة — على ما أستخلص ، ولأنها جميلة — على ما أرى ، ولأنها مخلصة — على ما تبينت ، فبالنظر إلى كونها فتاة عاقلة حسناء طاهرة ، قد أقررت منزلتها فى قلبى مدى العمر « تحضر جسيكا » سرعان ما حضرت . لننصرف يا سادة . إن إخواننا المتنكرين ينتظروننا

« يذهبون إلا غراتيانو ويحضر أنطونيو »

أنطونيو : من الشخص ؟

غراتيانو : ألست السنيور أنطونيو ؟

أنطونيو : أف يا غراتيانو ! أين الآخرون . الساعة التاسعة . وأصدقاؤنا في الانتظار .ستتلف زينة الليلة لأن العواصف هبت وباسانيو مبحر بعد هنيهة ، وقد أرسلت عشرين نفساً فى طلبكم :

غراتيانو : حبذا ما تبشرني به فلا شيء أحب إلىّ من الإقلاع ، واو فى مثل هذا الليل .

« ينصرفان »

المشهد السابع

بلمنت ـ مزارة فى قصر برسيا

« صوت معازف — تدخل برسيا وأمير مراكش وتبعهما »

برسيا : لترفع هذه الستارة ، وليدلل هذا الأمير النبيل على الصناديق الثلاثة « يرفع الحجاب وتظهر الصناديق ، أحدها ذهب ، والثانى فضة ، والثالث رصاص » الآن تخير .

الأمير : «متأملا» الأول من ذهب ومكتوب عليه

من اصطفانى فقدمًا تمنت الناس وصلى

الثانى من فضة ومكتوب عليه :

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

الثالث من رصاص ومكتوب عليه :

من ابتغانى فأعززْ بما يهين لأجلى

كيف أعلم أنى أحسنت الانتقاء ؟

برسيا : أيها الأمير فى أحد هذه الصناديق رسمى ، فإن اهتديت إلى الصندوق الذى هو فيه فإنى لك .

الأمير : لينطقنى الله بالصواب . سأعيد قراءة الأبيات المنقوشة بادئاً من أخيرها :

من ابتغانى فأعزز بما يهين لأجلى

علامَ المجازفةُ بكل شىء : ألَلحصول على رصاص ؟
هذا الصندوق مشئوم الطالع . الرجل الذى يخاطر بكل شىء
جدير بأن يتطاب من وراء ذلك فوائد وافية . النفس العالية
لا تتدانى لالتماس مثل هذه المادة المستخبثة . ماذا يقول
صندوق الفضة ؟

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

قف قليلا يا أمير مراكش . زن قيمتك وزْن إنصاف . لو رجعت فى الحكم إلى ما تقوّم به نفسك لأغليت . ولكنك مهما تغالِ ، وتكن على حق ، فربما لم تكن بالغاً من القدر ما يؤهلك لهذه الغيداء ؛ على أننى لو نظرت من جهة أخرى لما جاز لى الارتياب فى قدرى ، ولا الإزراء على نفسى . ما أستحق ؟ أنا كفء لهذه الحسناء بمحتدى و بجاهى ، وبجمال ملامحى ، وأدبى ، وخصوصاً بحبى . لعل الهدى فى وقوفى ههنا ؟ بل لنقرأ ما على صندوق الذهب :

من اصطفانى فقدماً   تمنت الناس وصلى

معناه أن كل إنسان يتمنى ربة هذا القصر ، وأن الخطّاب من كل أطراف الدنيا يسعون لتقبيل الوعاء المشتمل على هذه الحوراء الدنيوية . فمن جهة قد تحولت فَدَافِدُ أركانيا ، وفيافى بلاد العرب إلى مسالك يسلكها الأمراء قادمين من كل صوب لمشاهدة جمال برسيا ، ومن جهة ثانية قد أصبحت مملكة الماء التى تشمخ بأمواجها إلى السماء غيرَ مانعة من توافد الأجانب يجوزونها كما تجاز الأنهار الصغرى ، ليشاهدوا جمال بُرسيا . فى أحد هذه الصناديق الثلاثة رسمها المعشوق ، أيحتمل كونه فى صندوق الرصاص ؟ من الإثم هذا

الظن . وذلك الجسم لا يليق أن يوضع ، حتى بعد الوفاة ، فى مثل هذا المعدن الحقير . أفيكون الرسم إذاً فى الفضة ، وقيمة الفضة أقل عشرة أضعاف من قيمة الذهب الخالص . وهل يعقل أن توضع لؤلؤة غالية هذا الغلاء فى شىء أدنى من الذهب ؟ توجد فى إنجلترة سكة مصور عليها ملك ، ولكن الملك على ظاهرها ، أما ههنا فالملك فى ضمن مهد من الذهب . أعطونى المفتاح قد استخرت الله

برسيا : هذا مفتاحه ياأمير ، فإن كان رسمى فيه فإنى جاريتك

الأمير : « بعد فتح صندوق الذهب » — يا للعنة ! ماذا أرى ؟ هيكل ميت! وفى عينه الفارغة قرطاس ؟ لنقرأ ما فى القرطاس

قل كائناً من كنت عن ثقة
ما كلُّ براق من الذهب
عظة هى الكنز النفيس فلا
بدع إذا ثبتت على الحقب
لو كان رأيك غير مختلط
فى حين شعرك غير مختضب
ماعدت هذا العود فى ندم
وبمثل هذا الرد لم تُجبَب

« بعد قراءة الأشعار يقول متمماً »

لقد أضعت وقتى . وداعاً أيها الغرام المحرق ! سلام عليك أيها القلب الذى لا يكترث ! لقد أثخنت جراحى يا برسيا . ولكن لا أطيل العتاب ، بل أنصرف كما يليق بمن قامر فخسر. « يخرج »

برسيا : لقد نجونا منه والحمد لله . أسدلوا الأستار ، ولا كان اختيار مشاكليه فى اللون إلا كاختياره « تخرجان »

المشهد الثامن

البندقية — جادة

« يدخل سالارينو وسالانيو»

سالارينو : أيها الصفى سالانيو رأيت باسانيو مقلعاً ، يصحبه غراتيانو ، وأنا موقن أن لورنزو لم يكن فى سفينتهما

سالانيو : ذلك اليهودى الفاجر أيقظ الدوج بصخبه وصراخه ، فذهب إلى سفينة باسانيو وفتش فيها

سالارينو: جاء بعد أن أقلع المركب ، لكنه سمع أن لورنزو وعشيقته
جسيكا شوهدا معاً فى زورق ، ووكّد له أنطونيو توكيداً
لايحتمل الريب أنهما لم يكونا فى سفينة باسانيو

سالانيو: لم أر قط سخطاً أشدّ التباساً وغرابة وجنوناً من سخط ذلك
اليهودى السافل ، الذى كان يطوف الأسواق منتحباً صائحاً :
بنتى . دوقياتى . وابنيتا . فرت مع مسيحى . وادنانيرى
المتنصرة ! الإنصاف باسم القانون . دوقياتى . بنتى . كيس .
بل كيسان من الدوقيات ، فرادى ومزدوجات اختلستهما
سليلتى واحترست بجانبهما مصوغات جمة وألماستين نادرتين
ثمينتين . ذلك سرقته ابنتى وكل ذلك معها الآن

سالارينو: الأدهى أن صبية البندقية يتعقبونه صائحين : ألماساتى . بنتى .
دوقياتى

سالانيو : أخشى أن يتأخر أنطونيو عن الوفاء فى الأجل فيغرم قيمَ هذه
المسروقات كلها

سالارينو: ذكرتنى — حين ينفع التذكير — أمراً سمعته أمس من أحد
الفرنسيين وهو أن مركباً من مراكب بلدنا مشحوناً شحناً غاليًا
قد ارتطم فى المضيق الذى بين فرنسا وإنجلترة ، فلما طرق
أذنى هذا الخبر فطنت لأنطونيو وتمنيت سرًّا ألا يكون ذلك
الموسوقُ من مراكبه

سالانيو : ماأجدرك أن تبلغ أنطونيو ما سمعته ، ولكن مع المراعاة التى تلطف موقعَ الخير من نفسه

سالارينو: ما من رجل فى العالمين أصدق وداداً من أنطونيو . حضرت وداعه لباسانيو وسمعته يقول له : « لا تعجل عودتك كما تقول ، ولا تهمل شؤونك من أجلى ، بل امكث ما دعت الحال . أما صك اليهودى فلا تخطره على بالك ، ولا يشغلك عن غرامك ، كن فرحاً واقصر همك على إرضاء من تحب بأجمل ما تستطيع من الأساليب » وبعد ذلك صافحته بقوة ممتنعاً من النظر إليه ، لأن عينيه كانتا مغرورقتين بالدموع ، ثم تفارقا

سالانيو : أعتقد أنه إنما يعيش لخدمة صديقه . لنذهب إليه فنحاول بما فى وسعنا من الوسائل أن نخفف من تلك الكآبة التى لا تفارقه

سالانيو: هلم ، هلم

« يخرجان »

المشهد التاسع

بلمنت ـ مزارة فى قصر برسيا

« تدخل نريسا يتبعها خادم »

نريسا : أرجو أن تسرع بإماطة الحجاب فقد حلف أمير أراغون يمين الموافقة على الشرط وسيحضر عما قليل للتخير « صوت أبواق »

« يدخل أمير أراغون وبرسيا وحشمهما »

برسيا : هذه هى الصناديق ، أيها الأمير النابه ، إذا اخترت منها ما فيه رسمى عقد لك علىّ فوراً ، وإن أخطأته كان عليك يا مولاى أن تنصرف من هذه الديار دون أن تنبس ببنت شفة

الأمير : القسم يقتضى ثلاثة شروط : أولها ألا أخبر أحداً بالصندوق الذى وقع عليه اختيارى ، وثانيها إذا لم أضع يدى على الصندوق الرابح أن أمتنع من الزواج بتاتاً بعد ذلك ، وثالثها إن لم أوفق لما جئت فى التماسه أن أعود أدراجى من ساعتى بلا اعتراض

برسيا : هذه هى الشروط

الأمير : أنا مستعد لها ، فأسعدنى أيها البخت ، وحقق آمالى منعماً .
أمامى الذهب والفضة والرصاص ، ماذا يقول الرصاص ؟

من ابتغانى فأعزز بما يهين لأجلى

شكلك لا يعد بشيء يخاطر عليه . ماذا يقول صندوق الذهب ؟ لنقرأ ما هو ذلك الشيء الذى يتمناه الأكثرون : لا نزاع فى أنهم يعنون بالأكثرين جمهورَ العامة الذين تغرهم الظواهر ، لاكتفائهم بشهادة النظر عن تبطن السرائر فهم كالخطاف الذى يبنى أعشاشه فيما برز من أعالى الجدران ، فيتعرض بذلك للطوارئ والآفات . لن أختار ما يشتهيه السواد كراهةً منى لمماشاة السوقة ، والاختلاط بالطغام الجاهلين ، فإليك الالتفات أيها الكنز النقى . أعد علىّ عبارتك المنقوشة :

من انتقانى فإنى أهل له وهو أهلى

ما أحسن هذا المقال ! لا ينبغى لأحد أن يخادع القدر ، ويصيبَ من العز أو الجاه أو القدر ماليس به جديراً . حبذا لو كانت الأموال والألقاب والرتب بالكفايات لا البراطيل ، إذن لنزعت أعشاب سوء لا تحصى من محصول الكرامات الصحيحة ولأخرجت غلالٌ قيمات من أكداس

التبن الذى لا قيمة له . لنرجع إلى شأننا : أحسبنى كفوأً لها .
أعطونى مفتاح هذا الصندوق فأرى ما فيه « يفتح الصندوق »

برسيا : الذى وجدته لم يكن حقيقاً بالزمن الذى أضعته فيه .

الأمير : ماذا أرى ؟ رسم أبله يقدم لى قرطاساً . أى شىء فى هذا القرطاس ؟ ما أقل مشاكلة هذا الرسم لرسم برسيا ! وما أبعد جوابه عما التمسته آمالى ! ألم أكن جديراً إلا برسم أبله ؟! أهذا كل ثوابى ؟! أولم يُلق لى غيره !

برسيا : الخصومة والحكومة نقيضان لا يجتمعان فى واحد

الأمير : لنقرأ ما فى القرطاس :

من راضه ألم الخطوب فإننى
بالنار قد مُحِّصْتُ سبع مرار
من عاش لم يأمن على طول المدى
خطلا يبادره وسوء خيار
فى الناس مخدوع يقبل ظله
فينال ظل سعادة وفخار
وفتى خلىّ العقل مثلى بينهم
فى مظهر متألق غرار
أنى تكن ما أنت إلا مشبهى
فاحمل حمولك وانج من ذى الدار

مهما أطل الإقامة هنا بعد ما كان فلا أزداد إلا ظهوراً بمظهر الحماقة . جئت برأس أبله وأعودُ برأسين . أستودعك الله أيتها الزهراء . سأبر بقسمى لأحسن تملك نفسى وكظم غيظى «يخرج الأمير مع حاشيته»

برسيا : كذا احتراق الفراشة بالنور . هؤلاء المجانين الذين جفت حواسهم لم يبلغوا من المهارة إلا إتقان الخسارة

نريسا : صدق من قال إن المشنقة قضاء والزواج نصيب

«يدخل خادم»

الخادم : أين السيدة ؟

برسيا : ها هى ذى . ما تبتغى منها ؟

الخادم : ياسيدتى بالباب رجل من البندقية جاء مبشراً بقدوم مولاه مهدياً إليك مازكاً من التحيات ، وما غلا من الحلى السنيات ، حتى لخيل إلىّ أن شهر نيسان ، وهو مزدان بزينات الربيع ، لا يتقدم الصيف بأجملَ وبأرقّ مما يتقدم هذا الخادم الأديب مولاه الآتى فى إثره

برسيا : كفى ، لا تزد ، فقد خشيت أن تضيف إلى هذا الإفراط فى الثناء أنه من أقربائك . تعالى نرسيا ننقعْ غلةَ شوقنا برؤية ذلك الرسول الذى جاءنا بهذه المحامد كلها

نريسا : باسانيو . وفقه أيها الغرام «تخرجان»

الفصل الثالث

المنظر الأول

البندقية ـ جادة

« سالانيو وسالارينو »

سالانيو: ما أخبار الريلتو ؟

سالارينو: ثبت ما شاع عن غرق مركب لأنطونيو ثمين الأوساق فى ذلك المضيق الذى يسمونه على ما أظن جودونس ، وهو مكان بعيد الغور ، دفن فيه مالا يحصى من الجوارى المنشآت ، إن صح ما تزعمه العجائز المنبئات

سالانيو: معاذ الله أن يكون ما سمعته إلا بهتاناً من أسخف قعيدة أكلت فطير البرطمان ، وأوهمت جاراتها أنها تبكى ثالث أزواجها . ولكن النبأ الصحيح الذى يبعث الأسى والأسف هو باختصار القول ــ منعاً للإسهاب وأخذاً بالمألوف من الكلام ــ أن أنطونيو النبيل ، أنطونيو النزيه ، أنطونيو الجدير بأشرف النعوت التى نعت بها إنسان . . .

سالارينو : هلم إلى الواقع

سالانيو : ماذا تقول ؟ الواقع . . .هو أن أنطونيو فقد مركباً

سالارينو : عسى أن تقف خسارته عند هذا الحد بإذن الله

سالانيو : أبادر بالتأمين مخافة أن يعارض الشيطان هذا الدعاء ، ولا سيما وها هو ذا الشيطان بنفسه قادم إلينا فى زى يهودى

« يدخل شيلوخ »

سالانيو : «متمماً» شيلوخ ! ما أخبار التجارة فى مصفق الريلتو ؟

شيلوخ : أنت أعلم من علم بفرار ابنتى

سالارينو: لا جرم أنها فرت ، وأنا أعرف الخياط الذى صنع لها ما طارت به من الأجنحة

سالانيو : وشيلوخ كان يعلم أيضاً أن للطائر ريشاً ، وأن العصافير متى راهقت سنًّا معلومة ، فارقت وكر أبويها

شيلوخ : لتهلك بما خطئت

سالارينو: لا محالة أنها هالكة إذا كان الشيطان قاضيها

شيلوخ : يثور بى دمى ولحمى

سالارينو: أف لك من فاسق مزمن ، أفى هذه السن تخطر لك الشهوات ؟ !

شيلوخ : أعنى ابنتى ، وهى لحمى ودمى

سالارينو: بين بدنك وبدنها من الفرق ما بين السبج والعاج ،
وبين دمك ودمها من البوْن مثل ما يختلف النبيذ الأحمر
عن النبيذ الأبيض . لكن أنت مخبرنا : أعلمت أن أنطونيو
أصيب بخسارة فى مشحوناته بحراً

شيلوخ : وهذه مسألةٌ لم تكن لى رابحة . مفلس مسرفٌ لا يجرؤ أن
يتراءى فى الريلتو– باتس . . . كان يجىء المصفق متبختراً
حذار أن يتأخر عن الوفاء فى صكه . كان يدعونى مرابياً .
إياه أن يغفل ميعاد خطه . كان يقرض النقود إقراض
نصارى على سبيل الإحسان . ليخش أن يبطئ عن أداء
ما عليه فى حينه

سالارينو: ما أظنك إن تأخر عن إعطائك المال تتقاضى بضْعة من
لحمه . أتفيدك فى شىء ؟

شيلوخ : تفيدنى فى إعداد طعم للسمك ! ألا يكفى أن أستخدمها
فى شفاء غليلى ، والانتقام لنفسى . هو الذى جلب على
التحقير والإزراء ، وحال دون اكتسابى نصف مليون فوق
ما اختزنت . سخر من خساراتى ، وهزئ من أرباحى وسب
قومى ، وعارض أعمالى ، ونفر منى أصدقائى ، واهتاج
أعدائى . ولِمَ كل هذا ؟ لأننى يهودى . أليس لليهودى
عينان ؟ أليس لليهودى يدان وأعضاءٌ وجسم وحواس

ومودات وشهوات ؟ أليس غذاؤه مما يتغذى به النصرانى ؟ أليست الآلة التى تجرح أحدهما تجرح الآخر ؟ أليس العلاج الذى يشفى ذاك يشفى هذا ؟ أليس الشتاء والصيف واحداً لكليهما ؟ ألسنا إذا وخزتمونا ننزفُ دماً ، وإذا دغدغتمونا نضحك ، وإذا سقيتمونا السم نموت ، وإذا آذيتمونا ننتقم ؟ فنحن نشبهكم بهذا كما نشبهكم بكل ما سواه . أما جزاء اليهودى الذى يضر بمسيحى أن يثأر منه ؟ إذن فاليهودى وقد ائتسى بأسوة النصارى أن يثأر منهم إن أضروا به سأعاملكم بمثل الشدة التى تعاملوننى بها أو أزيد

« يدخل خادم »

الخادم : أيها السيدان ! مولاى أنطونيو يبتغى لقاءكما وهو الآن فى داره

سالارينو : نحن فى البحث عنه منذ هنيهة

« يدخل طوبال »

سالانيو : ما أشبهه الليلةَ بالبارحة ، ومن توخى ثالثاً لهذين اليهوديين الأخوين لم يجده إلا أن يتهود الشيطان

« يخرج سالارينو وسالانيو والخادم »

شيلوخ : ما وراءك يا طوبال ؟ أوجدت ابنتى فى جنوا ؟

طوبال : خوطبت عنها فى أماكن جمة ، ولكننى لم أتوصل إلى عرفان موضعها

شيلوخ : ياللخسران ! اختلستْ منى ألماسة بيعت علىّ فى فرانكفورت بألفى دوق ، الآن قد طفقت اللعنة تحلّ على أمتنا حلولا لم أشعر به من قبل : ألفا دوق فقدتها عدا مصوغات أخر غالية ، وأىّ غلاء . من لى بابنتى ميتةً عند قدمى والألماستان فى أذنيها ؟ من لى بها ممدودةً هنا أمامى على وشك أن تحمل فى نعش وتحمل معها الدوقيات ؟ عجباً أما من نبأ عنها — هكذا — ويعلم الله كل ما سأنفقه حتى أجد تلك الضالة خسارة فوق خسارة : كذا للسارق وكذا للباحث عنه . ثم لا ترضية ولا انتقام ، كل الرزايا تنصب على رأسى وحدى ، فلا زَفرَةَ إلا ما تصعده أنفاسى ولا عبرةَ إلا ما تصوبه عيناى

طوبال : لست فذًّا فى تعرضك للنوائب ، فقد علمت فى جنوا أن أنطونيو

شيلوخ : ما تقول ؟ ويل ويل . . .

طوبال : فقد سفينة من سفنه قادمة من طرابلس

شيلوخ : حمداً لله ، حمداً لله ، . أيقين ؟ أيقين ؟

طوبال : كلمت نواتية نجوا من الغرق

شيلوخ : وحمداً لك يا صديقى طوبال . نعمت الأخبار ، نعمت

الأخبار . أين ؟ فى جنوا ؟

طوبال : سمعت أن كريمتك أنفقت ثمانين دوقيًّا فى ليلة واحدة بجنوا

شيلوخ : تطعننى بخنجر فى قلبى . لن يعود إلىّ ذهبى ، ثمانون دوقيًّا صُبْرَةً واحدة . ثمانون دوقيًّا ؟

طوبال : فى رجوعى إلى البندقية تسقطت من أقوال بعض الذين يدينون أنطونيو أنه لا بد له من التفليس

شيلوخ : يافرحاً بما قالوا ! سأعذبه . سأنكل به . . . يا للسرور !

طوبال : أرانى أحدهم خاتماً نفحته كريمتك به لتحلية قرْد أعجبها

شيلوخ : ويحها من تاعسة ! تقتلنى يا طوبال ! تلك زبرجدتى التى اشتريتها من ليحا أيام عزوبتى ، ولو أعطيت بها فرقة من القردة لما أعطيتها

طوبال : لكنه ثابت أن أنطونيو قد خرب

شيلوخ : نعم . هذا يقين كل اليقين . اذهب يا طوبال ، أوجد لى سجّاناً تجعله تحت تصرفى ، قبل حلول الأجل بأسبوعين . فإن لم يؤدّ ما عليه لم يكن لى بد من تمزيق قلبه ، ومتى خلت منه البندقية ، فنى وسعى أن أفعل فيها ما أشاء . اذهب . اذهب طوبال . ثم ألحق بى فى الكنيس . بَدار يا طوبال

« يخرجان »

المنظر الثانى

بلمنت – مزارة فى قصر برسيا – الصناديق مكشوفة

« يدخل باسانيو وبرسيا وأتباعهما وغراتيانو ونريسا »

برسيا : أبتهل إليك ألا تتعجل . تريث يوماً أو يومين قبل الاقتراع ، فإذا ساءت خَيَرَتُك ، لم يفتنا أنسك وعشرتك. رويدك رويدك . فى قلبى شىء . وهذا الشىء ليس بالغرام – يوحى إلىّ أن فقدك مساءةٌ لى . على أن مثل هذا الوحى لا يجىء من البغضاء . ولأزيدك مكاشفة بما فى ضميرى ، دع أن الأجدر بالفتاة ألا يكون لها من اللسان إلا فكرها ، أقول إننى أتمنى استبقاءك ههنا شهراً أو شهرين قبل المخاطرة بمستقبلك من أجلى . وقد يجيش بى أن أعلمك كيف تحسن الخيرة ، لكننى إذن أكون حانثة ، ومعاذ الله أن أكونها أبداً. إلا أننى لو لم أرشدك وتعذرَ عليك الفوز بى ، لاشتد أسفى ، من كونى لم أحنث . ويحى ! إن عينيك نظرتانى فقسمتانى إلى شطرين : شطر لك وشطر لك ! كان ينبغى أن أقول – لى – فى الثانية لكن سبق لسانى ، لأننى لك وما بقى لى

فهو إذن لك . يا للقضاء الجائر أقام حاجزاً بين المالك وملكه
فأنا لك ، ولكننى ربما لا أكون لك . فإذا جرى الحكم على
هذا فلا وقعت التبعة إلا على مصدر الحكم لا علىّ . أفرطت
فى الثرثرة ، ولكن لا لإضاعة الوقت بل لإطالته بتأخير اقتراعك

باسانيو : دعينى أختر فإنى فى أشد العذاب

برسيا : فى أشد العذاب يا باسانيو ، فلا بد من خيانة تحت هواك،
والأولى أن تقرّ بها

باسانيو : لا خيانة ، ولكن خشيةً فقدى من أهواه ، وقد يكون أيسر
أن تأتلف النار والثلج من أن تأتلف الخيانة وحبى

برسيا : سوى أننى أخشى أن يكون كلامك إكراهيًّا أشبه بما يجريه
الألم على الألسنة قسراً

باسانيو : عدينى بالحياة أعترف لك بالحقيقة

برسيا : اعترف وعش

باسانيو : كان يجب أن تقولى ؛ أقررْ وأحببْ ، لأن إقرارى لايزيد
عن معنى هاتين اللفظتين ، ما أعذب ذلك العذابَ الذى
يعلمنى مسببه كيف أنجو منه . لكن دعينى أعرف بختى
بين هذه الصناديق

برسيا : إليها ، وأعانك الله . إنى فى أحدها ، فإن كنت لى

محبًّا اهتديت إلىّ — « إلى الأتباع » أى نريسا ، أى هؤلاء جميعاً ، تنحوا قليلاً — لتعزف الموسيقى مدة خيرته، فإن خسر كانت نهاية هوانا فى النغم ، كنهاية ذلك الطائر العوّام الذى لا يجيد فى حياته إلا صوتاً يتغنى به قبيل وفاته . ولإتمام الشبه أجعل عندئذ عيونى الماء الصافى الذى يقضى فيه ذلك الهوى نحبه . أما إذا كسب فكيف يكون النغم إذن ؟ ليكن نفخاً فى الأصوار بعيدَ الصدى، كما يكون حين تجثو الرعية المخلصة لدى ملكها المتوج حديثاً ، أو كذلك اللحن الشجى الذى يشدوه السعدُ فى أذن الخطيب صباح اليوم الذى تتحقق فيه أحلامه ، ويتأهب لعقد القران على عتبة الهيكل . ها هو ذا يتقدم بأقل جلالاً ولكن بأكثرَ غراماً من الفتى الشجاع «ألسيد» حين أنقذ البتول التى قربتها قبيلة طروادة باكيةً منتحبةً للوحش البحرى . على أننى أشبه بتلك الفتاة المقدمة للتضحية : أجد الذين حولى مستعدين كالطرواديين يتوقعون الختام وأقول : أماماً يا هرقل ، عش فأعيش — أنا شاهدة القتال سوى أننى أشد تأثراً منك يا من يقدم عليه

« تسمع الموسيقى خلال نظر باسانيو فى الصناديق وتشاوره »

صوت ينشد :

أين مكان الهوى ومنبتُه
في العقل أم في الفؤاد مولده

ومن مباهٍ به الجلال فقد
دال من المالكين أيّده

آخر ينشد :

تلك العيون السواهي
للحب هنّ مهود

إن يسقِه اللحظ ناراً
قضى وهنّ اللحود

الجمع ينشد :

ليهتف هتاف الأسى
ويسمع نواح الأسف

يخف صريع المنى
ويودى سريع الشغف

باسانيو: نعم يقرب من الاحتمال أن أبهج غلاف بظاهره يحتوى على أشنع شيء . هكذا تخدعنا زينات الناس فى الغالب من الأمر . أتوجد فى القضاء دعوى سيئة لا يتولى الدفاع فيها منْطِيق مقنعٌ يغطى معايبها بتأثير فصاحته ؟ أيوجد فى العقائد خطأ مهلك لا يجهد أحد المتنطِّسين العابسين أن يحلله بنصوص قاطعة ويخبأ ما به من السم تحت أزهار يزينه بها ؟ هل فى المثالب واحدة لا تلبس لدى الإبصار بعض ملابسَ المحامد؟ كم من جبان لا تختلف شجاعته عن مدْرَجة من الرمل ولكنه يغشّى ذقنه بمثل لحية هرقل الصنديد أو لحية المريخ العنيد . لو استشفت بواطنُ هؤلاء الرعاديد لوجدت أكبادهم بيضاء كاللبن ، سوى أنهم سرقوا تلك الإمارات المهيبة ليداجوا بالبطش والبأس . انظروا إلى الجمال تجدوا جواذبه مجلوبةً من حانوت التاجر ؛ ومن غريب ما تحدثه الطبيعة فى هذا الباب أن أكثر النساء حمولةً من المحاسن المستعارة ، هن اللواتى لا يطول الزمن بزيناتهن ! فإذا رأينا عند بعضهن ذلك الشعر الذهبى الذى تتلوى ضفائره تلوىَ الثعابين ، وتتجارى بين غدائره لواعبُ النسمات لم يكن إلا زخرفاً باطلا ورثه الرأس المتباهى به عن رأس أصبح بالياً فى القبور . فالتبرج إذن ليس إلا زينة الشاطئ

الذى ينزل منه إلى البحر الزاخر بالأخطار ، أو هو الشف اللماع ، الذى تحتجب وراءه هجنة هندية . أو هو ما ترتديه الحيلة من مشابهة الحقيقة لتأخذ الحكيم فى أشراكها . لهذا أنبذك أيها الذهبُ البراق طعامُ ميداس ، كما أنى أنبذك أيتها الفضة فإنما أنت ذلك المعدن الشاحب والأداة المبتذلة فى التداول بين الناس .. أما أنت أيها الرصاص المستخس الذى لايغش العيون ، والذى تغرى سذاجته الصامتة أشد من إغراء الفصاحة ، فإياك أختار لعلك تكون مخبأ سعدى ، ومبعث هنائى .

برسيا : أرى كل العوامل قد تبددت فى الهواء من هم مقلق ، وخوف مؤرق ويأس ليس بإحدى الراحتين ، وغيرة مخضرة العين ، خاشاك أيها الغرام الذى استباح قواها ، واستبى حماها ، فبحقك إلا ما ترفقت بى ؟ وتلطفت لى ، وخففت من غُلوائك ، وهدأت من سورة سرائك ، فقد خشيت أن ينوء بحملك قلبى ، ويقضى بفضلك نحبى

باسانيو : « فاتحاً صندوق الرصاص » — ماذا أرى ؟ أرسم برسيا ؟
أى ملك تنزل من سمائه فتجلى فى هذه الصورة الإنسية ؟
يا عجباً لهاتين الحدقتين ؟ أهما تتحركان أم أنا واهم ؟
يا عجباً لهذا الثغر ! لم تكد شفتاه الرقيقتان تفترقان على

ما بينهما من الهوى إلا لتأذنا أرَج الأنفاس بتعطير الهواء . يا عجبًا لذلك الشعر ! كأن أمهر الرسامين عندما نظمه قد حاك من خيوطه الذهبية حبالة تؤخذ بها القلوب ، كما تؤخذ دقاق الهوام بنسج العنكبوت . ولكن البدع كل البدع فى العينين ، كيف استطاع ذلك المصور أن يحدق فيهما ليحسن تمثيلهما ؟ أما الكمال فانظروه فى الأصل لا فى النقل . وما أبعد ربة الجمال عن أن يضارعها الخيال . فلأمتع الآن طرفى بما كتبه الحظ فى هذا القرطاس من آيات سعدى : « يقرأ »

يا من رأى باطلاً فسر به
ولم يزغْ فى طلائه نظرُه

يهنئك العقل لم يصل به
مغويه والسعد رابحًا خطرُه

لئن تكن قد حظيت بعدَ جوى
كما يصيب الجزاء منتظرُه

قبّل محيا العروس مغتبطًا
فالعمر قد طاب والمنى ثمره

حبذا هذه الأقوال الشائقة . إذناً أيتها السيدة « يقبلها »
أتيت وهذه الورقة فى يدى — لأقبل وأتقبل مشبهاً بذلك
صاحب الفوز فى الصراع المشهود . فهو إذا سمع تصفيق
المتعجبين ، وتهليل المعجبين ، جمد مكانه ونظر حواليه
مرتاباً فيما إذا كان ذلك التمداح موجهاً إليه . وما موقفى هذا
إلا كموقفه ذاك ، أكاد أرتاب فيما أرى وأرقب لتصديق
ما جرى أن تجيبينى إلى ما قدمت وتثبتى وتحققى ما اغتنمت

بورسيا : أيها الهمام باسانيو ها أنا ذى لديك كما أنا ، ولولا
أمر جددته فى نفسى لاجتزأت بالنعم التى منحتها ولم
أستزد . لكننى غدوت متمنية من أجلك لو رجحتُ ستين
مرة على ما أعادل اليوم ، ولو كنت ألف مرة أجمل ،
وعشرة آلاف مرة أوسع جاهاً . فتكبر حظوتى فى عينيك ،
ولو كان لى من الفضائل والمحاسن والأموال والأصحاب عدادٌ
لا تنفد . إلا أننى ولا فخر غير خالية من شىء يقدر بقدر
فإنما أمامك فتاة معصر نقية غرة ، تعتد من لطف
العناية بها كونها لم تزل لدْنة صالحة للتقويم . ومن سعد
طالعها أنها ليست من الجهل بحيث تستعصى على التعليم ،
ومن تمام نعمائها أن عقلها طيعٌ يدعوها إلى إلقاء زمامها عن
رضًى بين يديك ، والإقرار عن خضوع بأنك سيدها ،

وأميرها ، ومليكها .. فأنا وكل ما لى قد أصبحنا لك اليوم : كان قبلا هذا القصر المشيد قصرى ، وكنت مولاة خدمى وحشمى ، وكان بيدى قياد نفسى . أما الآن فالدار والتبع والمتبوعة فى تصريف بنانك يا ولى أمرى . وهبتك أولئك جميعًا . وأزيدك هذا الخاتم الذى أوصيك بحفظه ، وبأن تحرص كل الحرص من إضاعته ، أو فقده ، أو مفارقته ، فإن ذلك لينذرنى بتحول قلبك عنى ، ويخولنى حق الشكاية منك

باسانيو : لقد أعجزتنى يا سيدتى عن التفوه بلفظة واحدة ، فما فى من متكلم إلا دمى الذى يجيش فى عروقى ، وأشعر باضطراب فى أفكارى أشبه بغوغاء الجمهور إذا ألقى عليهم أمير كريم ، كلمات محبته ، فاختلطت عواطفهم فى إحساس واحد اجتمعت عليه كل تلك النفوس : إحساس الفرح بين صامت ، أو صائت ، فاعلمى أن حياتى تفارقنى قبل أن يفارق هذا الخاتم أصبعى ، وإذ ذاك لك أن تقولى : « مات باسانيو »

نريسا : إن سعد كما هذا لسعد طالما تمنيناه ، فأجيزا لنا يا سيدى رفع تهنئتنا إليكما ; صفاءً وهناءً

غراتيانو : يا سيدى باسانيو ويا سيدتى ! أدعو لكما بما تشتهيان

من صنوف النعم ، واثقاً من أن آمالكما لن تتمادى إلى الإضرار بتحقيق أمانىّ ، وعلى هذا أستأذنكما بأن يكون عقد قرانى فى نفس اليوم الذى ستعينانه لعقد قرانكما

باسانيو : إذا وجدت الحليلة فإنا لنأذن بارتياح

غراتيانو : لقد ظفرت ، ولك الشكر يا سيدى ، بالتى أرغب فيها ، فإن عينى لا تقلان فراسة عن عينك ، وقد لمحت التابعة ، كلمحك المتبوعة ، فأحببت كما أحببت وشببت كما شببت ، وكما كان حظك منوطاً بهذه الصناديق كان حظى منوطاً بنجاحك ، إذ أننى بعد تجشمى عرق القرْبة لاستمالة هذه الغانية ، وإلحاحى صوتى فى الإقسام لها على صدق غرامى لم أفز منها إلا بوعد: وهو أنها تقترن بى إذا أنت وفقت للاقتران بمولاتها

برسيا : أكذا جرى يا نريسا ؟

نريسا : نعم يا سيدتى ، إن كان فيه رضاك

باسانيو : أجد ما تقول يا غراتيانو ؟

غراتيانو : جد فى النهاية يا سنيور

باسانيو : نعدّ من متممات فرحنا أن يقام عرسنا وعرسكما فى آن

غراتيانو : « لنريسا » — لنراهن بعشرة آلاف دوق على مَنْ من

فريقينا يجئ بأول ولد . أسمع قدوم أناس . . . هذا لورنزو وكافرته ، وهذا صديقى القديم سالريو البندقى

« يدخل لورنزو وجسيكا وسالريو ».

باسانيو : لورنزو وسالريو ! مرحبًا بكما ، إن كان يسوغ لى على حداثة عهدى هنا أن أحتفى بمواطنىّ وأصدقائى . أتأذنين لى يا برسيا الجميلة أن أرحب بهم ؟

برسيا : لقد لقوا أهلاً ، ونزلوا سهلاً

لورنزو : حمداً لك يا مولاتى . أما أنا يا سيدى فلم يكن مقصدى هذا القصر ، لكننى صادفت سالريو فى الطريق ، فلج حتى أوجب مجيئى معه

سالريو : هذا ما حدث يا سيدى ، وكان لذلك عندى سبب . إليك كتاباً من السنيور أنطونيو . حملنى إياه وأوصانى أن أذكره لديك « يعطيه الكتاب »

باسانيو : « قبل فض الكتاب » كيف صديقى الأعزّ ؟ !

سالريو : ليس بمريض ولا بمعافى ، إلا أن تكون الصحة أو العلة فى الروح لا فى الجسم ، ولكنك ستعلم من رسالته حقيقة حالته

غراتيانو : « مشيراً إلى جسيكا » نريسا ، أكرمى وفادة هذه الأجنبية واحتفى بها . يدك يا سالريو . أى جديد فى البندقية ؟

كيف أنطونيو أمير التجار وكيف أعماله ؟ أنا موقن أنه سيفرح لأفراحنا . نحن من آل جازون قد غنمنا الجُزازة الذهبية

سالريو : ليتكم كسبتم ما خسر

برسيا : لابد أن تكون فى هذا الكتاب أنباء رائعات ، فقد امتقع وجه باسانيو ، وما يغير وجه الرجل الكريم مثل هذا التغيير السريع إلاّ أن يفقد صديقاً من أصفى أصفيائه تهون فى جنب رزئه فوادحُ الأرزاء . عجباً ! أرى ازدياداً فى أسفه- إيذن يا باسانيو : إنى شطر منك الآن ، وأطلب بقوة حصتى من مضمون هذه الرسالة كائناً ما كان

باسانيو : يا حبيبتى برسيا ! لم تسود الصحف فى يوم من الأيام بمثل ما سودت به هذه الصحيفة من السطور المشؤومة . عندما فاتحتك بغرامى لأول عهدنا ، أقررت لك بأن ما بقى من ثروتى لم يكن إلا الدم الجارى فى عروقى : دم ماجد شريف . على أننى أيتها الصفية الرقيقة ، مع صدقى بإبلاغك أننى لم أكن شيئاً مذكوراً ، قد غاليت فقوّمت نفسى ، بما يفرق قيمتها كثيراً ، وكان الأجدر بى أن أصارحك بأننى أقل من لا شىء : ذلك لأننى استخدمت ضمان صديق عزيز للحصول على مال أقضى به حاجاتى ، فعرّضته

بذلك لألدّ أعدائه وأشد مبغضيه . هذا كتاب ياسيدتى
دَرْجه جسم صاحبى ، وكل كلمة فى الدّرج جرح ثخين
فى الجسم يتدفق منه الدم وتندفع فى أثره الحياة . ولكن أحق
ياسالريو أن كل تلك المواسق نكبت ؟ عجباً ! ألم ينج
واحد منها ؟ أوَ لم تصل سفينة فذة من تلك السفائن العائدة
من « طرابلس » أو « المكسيك » أو « إنجلترة » أو « لشبونة »
أو « الهند » بلا استثناء ؟ أكلها أبادته الصخور ، وألقت به
فى أعماق البحور ؟

سالريو : كلها باد بلا استثناء . ومما يزيد الشجن أن اليهودى ، فيما ظهر منه وتحقق ، يأبى المال لو ردّ إليه الآن . ذاك مخلوق ، على كونه فى شكل إنسان ، ما رأيت فى غابر أيامى أشدّ منه تكالباً للتنكيل بخصمه ، فهو من الصباح إلى المساء لاحق بالدوج ملحّ أو ملحف يتقاضى شرطه مجاهرًا بأنه لايبقى للعدل فى الحكومة معنى إذا لم يعن على استيفاء حقه ، وقد خاطبه عشرون من التجار كما خاطبه الدوج نفسه ، والملأ الأكرمون من الأعيان ليعتدل فى أرَبه ، ويعدل عن طلبه فأبى مصرًّا ، ولم يتمكنوا من تليين قلبه الجافى الملىء بالضغن .

جسيكا : عندما كنت معه سمعته بحضرة طوبال يهمس لمشايعيه فى

الدين يقول : إنه يؤثر البضعة من لحم أنطونيو على عشرين ضعفاً للقدر الذى أقرضه إياه ، وأنا متحققة من أن أنطونيو المسكين إذا لم يؤازره القانون أو أولياء الحل والعقد لم يفلت من مخالب الخطر .

برسيا : أذلك الرجل الواقع فى هذه الأزمة الشديدة حبيب إليك ، عزيز عليك

باسانيو : هو أصفى إخوانى وأوفى أخدانى ، هو فى الرجال الأشهم الأمجد ، الأكرم الأعود ، هو الإنسان الذى تتراءى فيه الروح الرومانية أصفى ما كانت ، وأنقى ما هى كائنة فى نفس إنسان من بنى إيطاليا

برسيا : ما الذى عليه لليهودى ؟

باسانيو : عليه له ثلاثة آلاف دوقى أخذتها أنا

برسيا : أهذا كل المقدار ؟ اردد إليه ستة آلاف ، وليمزق ذلك الخط . ضاعف له هذا الزهاء ، أو أعطه ثلاثة أمثاله حرصاً على شعرة من رأس صديق كهذا أن تضيع لأجل باسانيو . اصحبنى بعد هنيهة إلى الكنيسة لتتخذنى عروساً لك ، ثم اذهب من فورك إلى البندقية لإسعاف صاحبك ، إذ أن برسيا لا ترضى إقامتك بجانبها ونفسك قلقة ، وأيما مبلغ من الذهب وجب لإيفاء ذلك الدين الصغير ، حتى

لو أربى على أصله عشرين ضعفاً ، حمل إليك بلا إبطاء
فإذا قضيت هذا الحق عدت بصاحبك لنأتنس به ،
وفى خلال هذه المدة سأعيش أنا ونريسا عيشة بتولين وأيّمين .
هلم بنا ، وإذا كان قد تحتم عليك هذا السفر فى يوم عرسك
فلا يصددك ذلك عن الهشاشة لإخوانك ، ولا يروا منك إلا
وَجهاً ضحوكاً . سأغلى قدرك بنسبة ما قد أغليت مهرك ،
ولكن فاتك أن تسمعنا شيئاً مما كتبه صاحبك

: « قارئاً » : « صديقى باسانيو . ارتطمت جميع مراكبى ،
وأصبح الدائنون لى بلا شفقة . شؤون تجارتى فى درْك
الانحطاط ، ولم يتسنّ لى افتكاك نفسى من حق اليهودى فى
الأجل المضروب ولما كنت لا أستطيع التحرر مما علىّ إلا أن
أفتدى الدين بحياتى ، عولت على ذلك مبرئاً ذمتك من كل
ما تسلفته منى ، راجياً أن أراك قبل وفاتى ، وما أكلفك المجىء
إلا تبعاً للتيسير ، وعلى أن يكون باعثه وحى الصداقة إليك
لا تثقيل هذا الكتاب عليك »

برسيا : أى حبيبى ! تجهزْ عاجلا ، وسرْ

باسانيو : أما وقد أذنتنى بالسفر فإنى لمبادر ، ولن آوى إلى مضجع أو
ألتمس شيئاً من الراحة فيعوقنى أدنى عرْق عن سرعة الرجوع

« يخرجون جميعاً إلا برسيا ونريسا وبلتزار »

المشهد الثالث

البندقية — جادة

« يدخل شيلوخ ، سالانيو ، أنطونيو ، سجان »

شيلوخ : سجّان ، احرص عليه . لا تلتمس منى رحمة — هذا هو الأبله الذى كان يقرض النقود احتساباً . سجان ، إياك أن يفلت

أنطونيو : تفضل بالصغو إلىّ أيها السميح شيلوخ

شيلوخ : أتقاضى حقى ولا أريد أن أسمع كلاماً فى هذا المعنى أقسمت إلا ما تنجزت حقى . لقد كنت تدعونى كلباً بلا ذنب منى ، فإن كنت الكلب الذى تصفه فاصبر لنكز أنيابى . سينصفنى الدوج . من العجب أيها السجان البليد أنك تلين له هذه الليونة ، وتخرجه من معتقله إجابة لملتمسه

أنطونيو : أتوسل إليك أن ترعينى سمعك

شيلوخ : أطلب حقى ولا أرعيك سمعى ، حسبك ضراعة لا تفيد : لست من أولئك الأغبياء الذين إذا استعطفوا هزوا رؤوسهم ، ونفسوا كربهم بتصعيد أنفاسهم ، ثم أجابوا النصارى إلى

رغائبهم . دع متابعتى . لن أستمع لك إنما أتقاضى حقى « يخرج »

سالانيو : لم يرزأ الناس ومعاملاتهم بأظلم من هذا الضارى

أنطونيو : عدّ عنه . حسبى لحاقاً به وتضرعاً إليه بغير جدوى . يبغى حياتى وأعرف السبب فى ذلك : فهو ينتقم لإنقاذى من مخالبه غير واحد من المقترضين الذين استعانوا بى عليه ، وهذا سر بغضائه

سالانيو : يقينى أن الدوج لا يأذن بإنفاذ تعهد كهذا

أنطونيو : لا يستطيع الدوج منع القانون من الجرى مجراه ، فإذا أرابت الحكومة فى تأويله أساء الأجانب ظنهم بعدلها ، وخشوا على الامتيازات المخولة لهم ، فكان فى ذلك خطر على مدينة كالبندقية قوام ثروتها تجارتها مع الأمم الأخرى . لننصرف . إن أحزانى ومصائبى قد شفتنى حتى لا أعلم إن كانت قد أبقت لليهودى القدر الذى سيتقاضاه غداً من لحمى . سر بى أيها السجان . سر بى . عسى الله أن يرسل إلى باسانيو فأراه ، ويرانى وافياً دينه ، فأموت عندئذ راضياً

« يخرجان »

المشهد الرابع

بلمنت – مزارة في قصر برسيا

« تدخل برسيا ونريسا ولورنزو وجيسيكا وبلتزار »

لورنزو : أجرؤ أن أقول بحضورك إن رأيك فى الصداقة الخالصة رأى صادق شريف ، وإنك قد أيدته بتحملك فراق زوجك فى مثل هذا اليوم ، ولكنك لو عرفت من الرجل الذى تسدينه هذا المعروف ، وما شرفه ، وما مودته لقرينك ، لكنت أشد افتخاراً بهذه المنة منك بأية منة أوليتها من قبل

برسيا : لم أندم مرة على الإحسان . فما أبعدني الآن عن الندم ، ولا سيما أن الصاحبين إذا طال تعاشرهما ، واختلاطهما تآلف قلباهما وتواثقت نفساهما بعرى الصداقة ، فلابد من تشابه بينهما فى الخَلْق ، أو الخُلُق ، ومن ثم اعتقدت أن أنطونيو هذا لا بد أن يكون على شاكلة زوجى ، بسبب ما بينهما من متين العلاقة ، فالثمن الذى اشتريت به من القسوة الجهنمية ذلك الصديق المخلوق على مثال زوجى لا يكون إلا بخساً لكن أرانى استدرجت إلى ما يشبه التمديح ، فلنتحول عن

هذا المعرض إلى معرض آخر . يالورنزو أرغب إليك فى تولى إدارة بيتى إلى أن يعود بعلى ، أما أنا فقد نَذَرْتُ لله سراً أن أعيش فى النسك ، والدعاء . والاعتزال ، إلا عن نريسا إلى أن يرجع بعلانا ، وسنقيم فى دير قريب لا يبعد إلا ميلين عن هذا المكان، فرجائى ألا تمتنع من إجابة هذا الطلب على ما تقتضيه المودةُ وأسباب غيرُها أبديات

لورنزو : أوافق على ما تريدينه يا سيدتى بكل قلبى وما أطوعنى لأمرك فى كل أمر مشروع

برسيا : سآمر أتباعى أن يكونوا منذ الساعة رَهن إشارتك كأنك باسانيو ، ورهنَ إشارة جسيكا كأنها أنا . أستودعكما الله فى صحة ونعمة إلى أن نلتقى

لورنزو : منحك الله صفاء البال وصفاء الوقت

جسيكا : أرجو لك ياسيدتى قرّة العين ومسرة الفؤاد

برسيا : أدعو لكما بمثل ما دعوتما لى . أراك بخير يا جسيكا

« تخرج جسيكا ولورنزو »

برسيا : « متممة » : إليك خطابىَ الآن يابلتزار ، أود لو وجدتك اليوم على ما عهدته فيكَ من الوفاء والمضاء فى الامتثال. فاحمل رسالتى هذه بأسرع ما يستطاع إلى مدينة بادوا ،

إلى ابن عمى الدكتور بلاريو ، فإذا أسلمته إياها يداً بيد ، فتسلم منه الأوراق والملابس التى يعطيكها ، وجىء بها كلمح الطرْف إلى مرسى السفينة التى تجول عادةً بين القارّة والبندقية . لا تضعْ وقتاً فى الكلام ، بل سافر وسأسبق إلى الموعد .

بلتزار : سيدتى سأبادر جهد المبادرة « يخرج »

برسيا : تقدمى نريسا ، أنا عازمة على أمور ما زلت تجهلينها فاعلمى أننا سنلقى زوجينا قبل الوقت الذى يظنان

نريسا : وهل يبصراننا ؟

برسيا : بلا ريب يانريسا، ولكن فى زى يوهم أننا غير منقوصتين ما نقصتَهُ أجسام النساء : بمعنى أننا متى لبسنا لبسَ الفارسين الشارخين راهنتك على ما تشائين ، إننى سأتقلد خنجرى بلباقة لا يستطيعها الرجل ، وسترين كيف أرقق حينئذ صوتى فأجعله ناعماً كصوت الغلام المراهق ، وكيف أحولَ هذه المشية الحيية إلى مشية الذكر المتباهى ، وكيف أتكلم عن مشاجراتى تكلم يافع جميل فخور ، وكيف أستدر الأكاذيب من حاضر الذهن فأحسن قصصها ذاكراً العقائل العفيفات اللائى افتتنّ بحبى ، والخرائد المصونات اللائى مرضن أو متن من جفائى إذ لم يكن فى وسعى أن أكفهن

مبدياً أسفى على اللواتى قضين نحبهن من أجلى ،
فى تفصيل أمثال هذه الغرائب ، والعجائب حتى
الرجال الذين يستمعون منى تلك الأقوال أننى لم أفارق
المدرسة إلا لعام أو بعض عام خلا

نريسا : على هذا سنقضى حيناً فى مخالطة الرجال

برسيا : أف منك وبئس السؤال . لو كان هنا أجنبي لأساء الظن بطهارة نيتنا. هلمى بنا إلى الكنيسة لإتمام العقد ، ثم أشرح لك مقصدى فى الطريق ، وإن أمامنا لمسيرة عشرين ميلاً . البدار ، البدار « تخرجان »

المشهد الخامس

المكان عينه ــ حديقة

« يدخل لنسلو وجسيكا »

لنسلو : نعم ، والحق ما أقول : ذلك أن خطايا الوالد تقع على الولد ، ولهذا أخبرك عن يقين أننى أخاف عليك جد الخوف. وقد جرت عادتى أن أصارحك بفكرى . كل فكرى ، فأنت على علم لا ريب فيه أنك هالكة النفس ، وليس بباق

لك سوى رجاء غير جدير بالذكر ، رجاء لقيط

جسيكا : وأى رجاء هو؟ أتفصح عنه ولك الفضل ؟

لنسلو : هو : أن تأملى أنك لست من صلب أبيك ، أى أنك لست ابنة اليهودى

جسيكا : عندئذ يكون رجائى لقيطاً كما ذكرت ، وإذن تعلق بى تبعات خطايا والدتى

لنسلو : أنا — وما أحدثك ، إلا بالصدق — أخشى أن تكونى هالكة من جهة الأب ومن جهة الأم معاً ، فإذا أردت لك النجاة من ناحية الصخر : أبيك ، وقعت بك فى ناحية الهوة : أمك . فأنت بتمام الراحة . . . هالكة من هنا ومن هناك

جسيكا : ولكن يخلصنى زوجى الذى جعلنى نصرانية

لنسلو : إنه لجدير باللوم المضاعف على فعله هذا ! لقد كنا نحن النصارى أكثر عدداً مما تقتضى الحال ، وكنا بحيث لا يكاد الواحد منا يكفى أخاه . فبهذا التهافت على الاستكثار من المسيحيين سيغلى أثمان الخنازير . وإذا أصبح الناس جميعاً أكلة خنازير فلسوف يأتى وقت لا يتسنى لأحد فيه أن يحصل على كربونات

« يدخل لورنزو »

جسيكا : لنسلو سأبوح لزوجى بكل ماقلت لى . ذكرته وها هو ذا

لورنزو : أتعرف يالنسلو أننى قد قاربت أن أغار منك لفرط ما تتوالى محادثاتك لامرأتى على انفراد

جسيكا : كن آمناً من هذا القبيل يا لورنزو ، إن لنسلو لخصيمى اليوم ، فقد قال لى بلا مجاملة أن لا رحمة لى فى السماء لأننى ابنة يهودى ، ويزعم أيضاً أنك سيئ الوطنية لأنك بتحويلك يهوداً إلى نصارى تغلى ثمن الخنازير

لورنزو : سيكون أسهل علىّ أن أبرأ من هذا الذنب لدى مواطنىّ مما يسهل عليك أن تبرأ من أحبالك جاريةٌ سوداء

لنسلو : يحتمل أن لا تكون الجارية السوداء على الحالة التى ينبغى أن تكون عليها ، ولكنها إذا كانت قد نقصت شيئاً عما يجب أن تكون المرأة العفيفة فقد زادت شيئاً على ما كان عهدى بها

لورنزو : ما أيسر لعبَ الحمقى بالألفاظ ! أظن أنه لا يمضى زمن حتى يصير السكوت هو العقل ، والكلام هو ما يليق بالببغاوات . اذهب أيها المزْأة وقل لحشمنا أن يتأهبوا للعشاء

لنسلو : المائدة ستهيأ والأطعمة ستوضع ، وأما أن تذهب لتناول الطعام فهذه مسألة أدع لك حلها كما ترى

لورنزو : ما أعجب هذا الإدراك ، وما أغرب تصفيف هذه العبارات بهذه البراعة ! هذا الأبله قد جمع في ذهنه جيشاً من النكات وأعرف غير واحد من علية أهل المناصب محشوين مثل هذا الحشو وينطقون شمالا ويميناً بمثل هذه المهاترات : دعينا من هذا يا جسيكا وقولى : كيف أنت يا حبيبتى ؟ وما رأيك فى قرينة باسانيو ؟

جسيكا : فوق ما تصف الكلم . على السنيور باسانيو ذمة أن يسير أحسن سير الرجال ، لأنه بحصوله على مثل هذه المرأة قد وجد فى الأرض نعيم السماء ، وإذا لم يعرف قدر سعادته فى الدنيا، لم يجدر بأن يفوز بسعادة الأخرى ، وآيمُ الحق ، إنه لو تراهن إلهان على خطر علوى ، وجعلا الرهان امرأتين إحداهما برسيا لوجب أن يزاد فى الخطر على الأخرى شيء كثير ، ذلك بأنه ليس فى الإمكان أن تلقى امرأة كبرسيا فى هذه الأكوان

لورنزو : هى فى الزوجات ما أنا فى الأزواج

جسيكا : هلا سألتنى رأيى فى هذا الشبه ؟

لورنزو : هذا ما سأفعله فيما بعد ، فلنبدأ بتناول العشاء

جسيكا : لا ، ودعنى أمتدحك حين النفس طالبة

: بل دعى هذا بغير أمر نجعله حديث المائدة . ومهما تقولى
عندئذ أهتضمه مع سواه
: حبًّا وكرامة ، وسأتولى الثناء عليك
« يخرجان »

الفصل الرابع

المشهد الأول

البندقية ـ دار عدل

« يدخل الدوج والأعيان وأنطونيو وباسانيو وغراتيانو وسالارينو وسلانيو وآخرون »

الدوج : هل أنطونيو هنا ؟

أنطونيو : ها أنذا رهين بأمر سموكم

الدوج : إنى مكتئب لما نابك ، وإن خصمك رجل فاقد الإنسانية عادم الرحمة شديد المراس ميت الإحساس

أنطونيو : نمى إلىّ أنكم بذلتم كل مجهود لاستعطافه . فما ازداد إلا جفوة . ولما كان مستمراً فى عناده ، وكان القانون لا ينجينى ، وتهيأت بجلد لما ترمينى به نفسه الخبيثة من الرزايا

الدوج : ليدعَ اليهودى ويمثل لدى المحكمة

سالانيو : هو بالباب ياسيدى ، هو آت « يدخل شيلوخ »

الدوج : افسحوا له فنراه ويرانا مواجهة . شيلوخ ، يظن غير

واحد – وأنا من أصحاب هذا الظن – أنك مصر على ما توحيه إليك البغضاء حتى الدقيقة الأخيرة، فإذا حلت هذه الدقيقة راجعت حلمك ، ورجعت إلى وحى الشفقة بما لايدل عليه هذا التظاهر منك بالقسوة المتناهية ، ويزيد أصحاب هذا الظن على ما قدمته أنك ستعدل عن النهج الذى نهجته إلى الآن من تقاضى بضعة اللحم من جسم هذا التاجر المنكود الطالع إلى ما هو أعرق فى الإنسانية ، وأبلغ فى السماحة ، فتترك له نصف المقدار الأصلى من الدين ناظراً بعين الرحمة إلى ما منى به حديثاً من الخسائر ، التى لو منى بها أعظم التجار ميسرة لأعسر ، وهو الخطب الذى تلين له النفوس المتصلبة كالنحاس ، وترق من جرائه القلوب المتحجرة كالرخام ، بل الرزء الذى يرثى له جفاة الترك ، ويبكى منه قساة التتار ، أعداء كل رفق وأضداد كل كياسة . إنا نرقب إجابتك أيها اليهودى ، وعسى أن تكون موافقة

شيلوخ : لقد كاشفت سموكم بمقاصدى ، وأقسمت بالسبت . وإنه لقسم لو تعلمون عظيم . إلا ما تنجزت منطوق الصك بالحرف ، فإذا أبيتم علىّ ذلك فلتقع تبعة هذا الإباء على أنظمة حكومتكم ، وامتيازات مدينتكم . تسألونى علام أوثر بضعة من اللحم الخبيث على استئداء

ثلاثة آلاف دوق . فجوابى : أنه لو قدر كون هذا الطاب إحدى بدوات عقلى لكفى ذلك فى إيجابه ، فقد يكون فى بيتى جرذ ثقيل أطيب للتخلص منه عن ثلاثة آلاف دوق. أفتبغون منى أسباباً أخر ؟ ! . . . من الناس من لايطيق رؤية خِنّوص واسع الشدقين ، ومنهم من يرتعد لرؤية سنور ، ومنهم من إذا سمع غنة المزمار لم يستطع حقن بوله ، ذلك لأن شعورنا هو ذو السلطان المطلق على موداتنا وعلى موْجداتنا ، وفى يده أزمّة ما نحب ، وما لا نحب ، فإن أردتم بعد هذا جوابى فإليكم جوابى : كما أن الإنسان لا يستطيع بياناً لما بغض إليه الخنّوْصَ المتثائب وأخافه من السنور الذى لايؤذى ، ونفره من صوت المزمار ، ودفعه بقوة خفية لامردّ لها إلى التكره من رؤية مالا يسره ، ولو عرضه ذلك ليكون بغيضاً على الآخرين ، كذلك أنا . وحسبى داعياً للتشدد فى مقاضاة أنطونيو وإيثار احتزاز لحمه ، على استعادتى نقودى منه ، تأصلُ الحقد عليه فى دمى ، وتمكنُ الضغن له من فؤادى . أيرضيكم هذا ؟

باسانيو : ياللرجل الذى ليست له أحشاء ! ما هذا بالعذر الذى يعتذرُ به عن مثل هذه الخطة

شيلوخ : ليس من الضرورى أن يعجبك اعتذارى

باسانيو : أكل إنسان يقتل من لا يحب ؟

شيلوخ : يوجد إنسان لا يحب قتل من يبغض ؟

باسانيو : ما كل إهانة تتولد منها البغضاء حتماً ؟

شيلوخ : أتريد أن ينكزك الثعبان مرتين ؟

أنطونيو : تذكر — رعاك الله — أنك إنما تحاور اليهودى ، وأنه أيسر لك من إقناعه أن تقف على الشاطئ وتأمر البحر بالجزر فى غير أوانه فيزدجر ، أو أن تسأل الذئب لماذا يستبكى النعجة التى افترس صغيرها وتركها تثغو وراءه ، أو أن تحظر على صنوبر الجبل تحريك أغصانه الوريقة الشائبة ، أو الجهر بحفيف أعواده حين تصدمه الرياح ، أو أن تعمل أشقّ ما يرام عمله ، من أن تتوصل إلى تليين أقسى شىء فى الدنيا وهو قلب اليهودى — فقدْكَ توسلا ، وحسبك جهداً ، وليصدر علىّ الحكم وشيكاً ، ولتكمل مشيئة اليهودى

باسانيو : هذه ستة آلاف دوقى بدلاً من ثلاثة الآلاف

شيلوخ : لو قسم كل من هذه الدوقيات إلى ستة أقسام وصار كل قسم دوقيًّا لما رضيت بها عوضًا ولا ابتغيت إلا إنفاذ الشرط

الدوج : أية رحمة يجوز لك أن ترجوها وأنت لا ترحم ؟

شيلوخ : ماذا أخشى وأنا لم أصنع شرًّا ؟ للأكثرين منكم أرقاء

شريتموهم بالأموال ، وتستخدمونهم استخدامكم لحميركم ، وكلابكم ، وبغالكم فى أعمال حقيرة ، سافلة ، بعذر أنهم مما ملكت أيمانكم بالشراء . فلو قلت لكم : أعتقوهم وزوجوهم من بنيكم أوبناتكم ، علام هم موقرون بالأحمال ؟ لتكن أفرشتهم وثيرة كأفرشتكم ، ولتكن أطعمتهم شهية كأطعمتكم — لأجبتمونى : هؤلاء الأرقاء ، هم ملكنا . وهذا عين ما أجيبكم به ، فإن بضعةَ اللحم التى أطلبها من هذا الرجل ، قد ابتعتها بثمن غال ، وهى لى ، وإياها أقتضى ، فإن أبيتموها علىّ لم تجدُرْ قوانينكم بعد ذلك إلا بالازدراء ، ولم ترج طاعةٌ بعد لأوامر البندقية ونواهيها . إنى لأرقب حكمكم ، وتكلموا ، أأظفر بذلك الحكم ؟

الدوج : سآمر — وعلى العهدة — بإرجاء الدعوى ، إلا إذا وفد اليوم العلامة بللاريو الذى بعثنا فى طلبه لنسمع منه الرأى الفصل فى هذه المعضلة

سالارينو: مولاى ، بالباب رسول من بادوا يحمل ألوكاً من ذلك الأستاذ

الدوج : أدخلوا الرسول ، وجيئونى بالرسالة

باسانيو : تجلد يا أنطونيو ياصديقى الحميم ، ليأخذنّ اليهودى دمى وعظامى وكل شىء منى قبل أن تراق قطرة من دمك لأجلى

نعجة جرباء ، ولا بد من موتى لنجاة السرح .
إلى السقوط ضعافها فلأسقط . وأنت فاسلم
بالبقاء . لا أسألك إلا أن تكتب كلمة ترحُّم على
قبرى

« تدخل نريسا فى زى كاتب محام »

: أقادم من بادوا . من قبل الأستاذ بللاريو ؟

يسا : نعم ياسيدى ، وهويقرئ سموكم السلام

باسانيو : « مخاطباً شيلوخ الذى يشحذ سكينه على أديم حذائه » — لماذا تشحذ مديتك بهذا النشاط ؟

شيلوخ : لانتزاع لبرة من لحم هذا المفلس

غراتيانو : إنما تشحذها على الحجر الذى بين جنبيك ، لا على أديم نعلك ، أيها اليهودى الغليظ الكبد ، وأى حديد لو كان سيف الجلاد يعادل منك هذا الثقل والمضاء فى الحنق والبغضاء . ألا تستمع لضراعة ؟

شيلوخ : لا أستمع ، وخصوصاً لضراعة من مثل ما يوحيه إليك فكرك الثاقب

غراتيانو : ويك ! اذهب لعيناً أيها الكلب الجهنمى العقور ! ولتكن حياتك شكاية من العدل . تكاد تزعزع إيمانى ، وتدخل

على عقيدتى قول فيثاغور إن نفوس البهائم تنتقل إلى جسوم الناس فإن روحك ، ولا ريب ، كانت فى ذئب أماتوه شنقاً لافتراسه إنساناً ، فانطلقت تلك الخبيثة هائمة حتى انتهت إليك وأنت فى بطن أمك السعلاة . ذلك لأن بك ما بالذئب من النهمة إلى اللحم ، والظمأة إلى الدم

شيلوخ : مادام قزعك وسبابك لايمحو التوقيع عن الصك فأنت تتعب رئتيك فى باطل . أيها الفتى أصلحْ ما اعتور عقلك من التلف ، لئلا تقع فى خبال عقام . هنا القانون حليفى

الدوج : إن بللاريو فى ألوكه هذا يوصى المحكمة بأستاذ مقتبل الشباب عليم . أين هو ؟

نريسا : ينتظر على مقربة إذن سموكم بالدخول

الدوج : آذنه بارتياح . ليبادر ثلاثة أو أربعة منكم إلى ملاقاته ، وليصحبوه فى المجىء بصنوف الحفاوة ، ولتقرأ فى هذه المهلة ألوكة بلاريو .

المحضر : « قارئاً » « أرفع إلى علم سموكم أننى كنت معتلا حين تناولت الكتاب الكريم ، إلا أنه اتفق ساعة قدوم رسولكم أن عادنى صديق فى ريعان الشباب متضلعٌ من الحقوق ، سنىّ المنزلة بين علماء رومة يدعى بلتزار ، فطرحت عليه

مسألة اليهودى ، والتاجر أنطونيو ، وبعد أن راجعنا الكتب مليًّا أقررت رأياً سيطلعكم عليه معزّزاً بما يضيفه إليه من فيض علمه الواسع ، وإدراكه السامى ، وقد أجابنى بعد إلحاحى عليه ، إلى النيابة عنى فى المثول لديكم ، فألتمس ألا يحول العددُ المنقوصُ من سنه دون ما هو حقيق به من التجلة لعلو كعبه فى القانون ، وما أذكر أننى شهدت رأساً أشيخَ من رأسه على جسمه ، فهو موكول إلى حفاوتكم ، وفضل رعايتكم ، وفى يقينى أن أعماله ستكون أبلغَ فى التوصية به من أقوالى »

الدوج : سمعتم ما ذكره العلامة بللاريو ، وهذا نائبه الفاضل إن صدق تخمينى

« تدخل برسيا فى زى عالم حقوق »

الدوج : « مستمراً » : هات يدك . أقادم أنت من قبل الشيخ بللاريو ؟

برسيا : نعم يا مولاى

الدوج : على الرّحب والسعة . اجلس . أتدرى المسألة التى تهتم بها المحكمة الآن ؟

برسيا : أعرف المسألة بتفصيلها . من فى هؤلاء التاجر ؟ ومن

فيهم اليهودى ؟

الدوج : أنطونيو وشيلوخ ، تقدما كلاكما

برسيا : أتسمى شيلوخ ؟

شيلوخ : اسمى شيلوخ

برسيا : دعواك غريبة فى بابها ، ولكنها مسوقة سياقاً لا يملك معه قانون البندقية توقيفَ سيرها « مخاطبة أنطونيو » أوَ أنت الذى أمرك الآن منوط بأمره ؟

أنطونيو : هذا ما يزعمه

برسيا : أتعترف بالصك ؟

أنطونيو : أعترف به

برسيا : على اليهودى إذن أن يكون رحيماً

شيلوخ : من الذى يضطرنى إلى الرحمة ؟

برسيا : جمال الرحمة أن تكون خياراً لا اضطراراً . فهى كماء السماء ينهمل بالخير ، ويهطل باليمن عفواً ممن وهب ، وبركة لمن كسب . فإذا كانت الرحمة عفواً صادراً عن مقدرة ، فهنالك بهاء قدرتها ، وازدهاء جلالها . أما تراها إذا تحلى بها الملك القائم كانت لهامته أزينَ من التاج ، وفى يده أقوى من صولجان الأمر والنهى ، وكان عرشها المنصوص فى قلبه أعظم تمكيناً له من عرشه الذى يستوى عليه لأنها من صفات الله

عز وجل ، ولا يكون السلطان الدنيوى أقربَ شبهاً إلى السلطان العلوى منه إذ يلطفُ العدل بالرحمة ، فيا أيها اليهودى ، مهما يكن من استنادك فى دعواك إلى العدل ، فلا تنس أن الله لو عامل كلاً منا بمحض العدل لما بات إنسان على أدنى رجاء بالمغفرة والنجاة . لهذا نستغفر الله كل يوم فى أدعيتنا . وكما نستميحه العفو يجب علينا أن نكون من العافين عن الناس . وإنما خاطبتك هذا الخطابَ لأنبهك إلى ما فى طلبك من التغالى ، بل الإغراق فى التقاضى ؛ فإن لبثت على إصرارك مع هذا فلا يسع المحكمة إلا الامتثال لما يوجبه القانون من عقوبة هذا التاجر

شيلوخ : لتقع تبعة أعمالى على رأسى . أتشبث بالقانون ، وألح فى إنفاذ شرطى

برسيا : أليس فى طاقته أن يوفى الدّين ؟ !

باسانيو : بلى فى طاقته ، وأنا مستعد لأدائه فى هذه الحضرة ، بل لأداء مثليه ، فإن لم يكتف تعهدت بعشرة أمثال المطلوب تعهداً أفادى عليه بساعدىّ ، ورأسى ، وقلبى . فإن لم يكتف تبين إذن أن العوج يدُول من الاستقامة ، أو أن الرذيلة ترهق الفضيلة ، فإليكم أضرع بإلحاف، أن تلطفوا بسلطانكم قدرته على الإساءة ، متوسلين بأدنى الضير ،

للوصول إلى أسنى الخير ، كابحِينَ بتأييد من الله الرحيم جماح هذا الشيطان الرجيم

برسيا : هذا ما لا ينبغى كونه . وما من قوة فى البندقية تستطيع تشذيب القانون النافذ . فلو فعل ذلك لأعقبه مالا يحصى من ضروب التجاوز قياساً على هذا التجاوز الأول

شيلوخ : ليس قاضينا إلا دانيال ذلك النبى الكريم . أجل هو دانيال . ألا أيها القاضى الملىء بالحكمة على نضارة عودك ، ما أجل قدرَك فى نفسى !

برسيا : أستميح الاطلاع على الصك

شيلوخ : ها هو ذا أيها العلامة الموقر ، ها هو هذا

برسيا : شيلوخ قد عرض عليك ثلاثة أمثال المقدار .

شيلوخ : سبق اليمين . سبق اليمين . حلفت بالله ، أفأحنث ؟ لاولو أعطيت البندقية كلها

برسيا : انقضى أجل هذا الصك ، وبموجب الخط الذى فيه حقت لليهودى قانوناً لبرة من لحم التاجر تبضَع مما حول القلب . إيهاً . كن رحيماً . تقبل ثلاثة أمثال نقودك وأجزلى أن أمزق هذا الصك

شيلوخ : ليمزق بعد إجراء مقتضاه . بيِّنٌ أنك قاض جليل ، عليم بالقانون ، فقد شرحت الموضوع شرحاً هو الصحة بعينها ، فباسم القانون الذى أنت من عماده الراسخات أكلفك

إيقاع الحكم ، وأقسم بنفسى إنه ليس فى قدرة فصيح
من البشر أن يحولنى عن قصدى ، فلا مناص من إنفاذ
حكمى

أنطونيو : ألتمس من الحكمة بإلحاف إيقاع حكمها

برسيا : الحكم يوجب تعريض صدرك لمديته

شيلوخ : يا للقاضى النبيل ! يا للفتّى اللبيب !

برسيا : ذلك لأن القانون موافق بجلاء وثبوت على الحقوق التى خوّله
إياها نص الصك

شيلوخ : قول لا ريب فيه . أيها القاضى الحكيم العادل . ما أكبر
سنك عقلاً وما أقلها أعواماً

برسيا : اكشف له صدرك

شيلوخ : نعم صدره . هكذا كتب فى الصك . أليس كما أقول أيها
القاضى الشريف ؟ بجوار القلب ؟ هكذا ذكر بالحرف

برسيا : لا معارضة . أيوجد هنا ميزان لوزن اللحم

شيلوخ : الميزان معى

برسيا : يجب أيضاً أن يكون هنا جرّاح على نفقتك يا شيلوخ مخافة
أن يموت الخصم من شدة انتزاف دمه

شيلوخ : أهذا وارد فى الصك ؟

برسيا : لم يرد فى الصك ، ولكنه عمل إنسانى يحسن بك أن تعمله

شيلوخ : لا أرى ما ترى ، وما لذلك ذكر فى الصك

برسيا : إذن أيها التاجر . ألك أقوال ؟

أنطونيو : شيء غير كثير ، أنا متأهب وصابر . هات يدك ياباسانيو وتلقَّ وداعى . لا يحزنك أن صرت هذا المصير من أجلك فإن المقادير قد رَفقت بى رفقاً ليس من مألوفها فى مثل مصابى . فمن مألوفها أن تبقى من فقد جاهه حيًّا ، غائرَ العينين مثقلَ الجبين بالغضون ، يتوقع شيخوخة البؤس والفاقة أما أنا فإنها أنقذتنى من هذا العذاب الطويل ، وغاية ما أرجو أن تذكرنى بخير لدى عروسك المشرفة : وتخبرَها كيف كانت نهاية أنطونيو ، وتصفَ مبلغ حبى لك وتبثها بثك ، مما ألم بك حين شهدت ميتتى ، فإذا فرغت من ذلك أن تسألها : « ألم يكن لى صديق ؟ » ثم ألا تعاتب نفسك على وفاة ذلك الصديق ، فإنه هو غير آسف على إبرائك من دينك ، مع علمه أن مدية اليهودى لو انحرفت ، أو تمادت قليلاً لذهبت بالقلب كله فداءً لك

باسانيو : أى أنطونيو ، لقد شركت فى حياتى امرأة أهواها كهواى للحياة ، غير أننى أكاشفك أنه لا الحياة ولا امرأتى ، ولا الدنيا كافة بالشيء الذى يعادل عندى بقاءك ، فإنى لأرضى بفقد أولئك جميعاً ، وتقديم أولئك جميعاً قرباناً لهذا الشيطان فى سبيل نجاتك

برسيا : لوسمعتك زوجك لما أعجبها هذا العرض الذى تعرض

غراتيانو : لى عروس أحبها كل الحب ، وتالله لو علمت أنم
إلى السماء وبشفاعتها يلين قلب هذا اليهودى
لسخوت بها

نريسا : الحمد لله أن سماحك هذا إنما ذكر فى غيابها ، ولو
عشتما فى رفاء

شيلوخ : « منفرداً » كذا حال الأزواج من النصارى .
وددت لو بنى يهودى حتى من نسل باراباس لا
كائناً من كان « جهراً » نحن نضيع الوقت تفضا
بالحكم .

برسيا : حقّ لك رطل من لحم هذا التاجر ، فخذ ما ثبت لل
القانون وبأمر المحكمة

شيلوخ : يا لك من قاض عادل !

برسيا : ثم لك أن تقتطع الرطل من صدره بموجب القا
المحكمة

شيلوخ : يا للقاضى العالم ! كذا الأحكام : تأهب

برسيا : رويدك . لم نستوف الحكم . الصك لايجيز لك
قطرة من الدم ، بل نصه بالحرف « من اللحم » ،
ما هو لك . خذ رطل اللحم ، ولكن إذا سفـ

اقتطاعها نقطة واحدة من دم مسيحى قضى عليك قانون البندقية باستصفاء أملاكك وأموالك ومآلها إلى الحكومة

غراتيانو : يا للقاضى المنصف ! ما قول اليهودى ؟ يا للقاضى العلاّمة !

شيلوخ : أهذا ما يقوله القانون ؟

برسيا : سنطلعك على النص ، لأنك طالب عدل ، فان نرجع فى الحكم إلا إلى العدل ، أدق ما يكون العدل

غراتيانو : يا للقاضى العليم ! ما قول اليهودى ؟ ياللقاضى الفضيل !

شيلوخ : أما والحالة هذه فأنا أقبل ما عرض علىّ . ليدفع إلىّ ثلاثة أمثال القدر ، ويطلقْ سراح النصرانى

باسانيو : ها النقود

برسيا : مهلاً ، سينصف اليهودى كل الإنصاف . مهلاً لا تتعجل . سيعطى حقه

غراتيانو : يا يهودى أملى أن يكون هذا القاضى عادلاً وعالماً كقولك

برسيا : تأهب إذاً لانتزاع البضعة بلا إراقة دم ، واحرص أن تقتطع الرطل لازيادة ولا نقصاناً . فإذا وجد فرق ، ولم يكن إلا عشر معشار الذرّة ، أو لم يكن إلا مثقال شعرة فى رجحان كفة من الميزان على الأخرى ، قتلت وصودرت أموالك

غراتيانو : هذا دانيال ثان . هذا دانيال يايهودى . الآن قد أمسكت بتلابيبك

برسيا : ماذا تنتظر أيها اليهودى ؟ خذ حقك

شيلوخ : أعيدوا إلىّ أصل قرضى وأنصرف

باسانيو : هو معد لك ، ها هو ذا

برسيا : أباه على المحكمة ، فلا بد من أخذه الحق الذى تقاضاه دون سواه ، كنص القانون بالتدقيق

غراتيانو : دانيال بعينه . دانيال ثان . أشكر لك تعليمى هذه اللفظة

شيلوخ : ألا يرد علىّ أصل مطلوبى ؟

برسيا : لن تأخذ يا يهودى إلا ما هو لك ، فتناوله وعليك تبعاته

شيلوخ : إن كان الأمر كذلك فليحتفظ به ولينصرف عنى إلى جهنم . لن أطيل الإرغاء فى هذا المعنى

برسيا : على رسلك أيها اليهودى ، لم ينته الحكم بعد ، وإن فى القانون لبقية تعنيك . فقد جاء فيه أنه إذا ثبت على أجنبى توسله بوسائل مباشرة ، أو مداورة للقضاء على حياة واحد من الأهلين ، حق للمشروع فى الجناية عليه نصف ما يملكه الشارع فى الجريمة ، وللحكومة النصف الآخر ، وجعلت حياة المأخوذ بالذنب رهن إشارة الدوج بانفراده ، فأنا أجهر بأنك تحت طائلة هذا النص ، لأنه ظهر جلياً أنك بوسائل منحرفة ومباشرة ، تآمرت على حياة المدعى

عليه ، وأوجبت على نفسك ذلك العقاب . فأجثُ والتمس رحمة الدوج

غراتيانو: أستأذن بأن تنصرف فتقضى على نفسك شنقاً . ولما كانت أموالك قد آلت إلى الحكومة ، ولم يبق لديك ثمن الحبل تشتريه فمماتك سيكون على نفقة الجمهورية

الدوج : إنى أمنحك الحياة قبل أن تلتمسها منى ، لتعلم الفرق بيننا وبينك ، وإذا أبديت ندماً على ما فات منك لطفت من القصاص الذى يجعل نصف أموالك لأنطونيو والنصف الآخر للحكومة ، فحولت الشطر الثانى منه إلى غرامة فحسب

برسيا : فيما يرتبط بالنصف الذى يرجع إلى الحكومة ، دون النصف الذى يرجع إلى أنطونيو .

شيلوخ : خذوا حياتى إلحاقاً لها بالباقى ، فإنكم إذا أزلتم ركن البيت ذهبتم بالبيت . أفأعيش وأنتم لا تدعون لى ما أعيش به ؟

برسيا : بماذا تجود رأفتك عليه يا أنطونيو ؟

غراتيانو: بحبل لا أكثر وأيم السماء

أنطونيو : أضرع إلى مولاى الدوج ، وإلى المحكمة ، أن يترك له نصف أمواله ، وحسبى ربع النصف الآخر ، على عهد منى بتسليم

ذلك النصف ، حين وفاة اليهودى إلى الرجل الذى تزوج ابنته ، ولى على تحقيق هذا العهد شرط ، هو أن يوقع الآن بحضرة المحكمة ، على صك يخرج به عن كل مال فى حوزته يوم وفاته لصهره لورنزو وكريمته

الدوج : ليفعل أو أسترد عفوى

برسيا : أتقبل أيها اليهودى ؟ بمَ تجيب ؟

شيلوخ : أقبل

برسيا : أيها المحضر ، حرر صك الهبة من فورك

شيلوخ : تكرموا وأذنونى بالانصراف ، فقد انهد عزمى ، ومتى جاءنى الصك أمضيته

الدوج : لك أن تنصرف ، ولكن إياك ألاّ توقع

غراتيانو: سيكون لك عرّابان حين تنصيرك ، لكننى لو كنت أنا قاضيك لكان لك بدلهما عشرة نفر يحملونك إلى المشنقة

« يخرج شيلوخ »

الدوج : « مخاطباً برسيا » : أرجو يا سنيور أن تجيب دعوتى إلى العشاء الليلة

برسيا : ألتمس خاشعاً من سموكم إعفائى ، فإننى عائد إلى بادوا من ساعتى

الدوج : أنا آسف لهذا الإسراع . اشكر يا أنطونيو لهذا العلامة صنيعته إليك ، فإنها لكبيرة فيما أظن

« يخرج الدوج والشيوخ بعد مطالعة عقد الهبة صامتين »

باسانيو : أيها السيد المبجل ، إنى وصاحبى لصنيعتاك منذ اليوم ، بما أقررت به أعيننا من آيات حكمتك ، وربما أنقذتنا من فادح الخطب ، فنبتهل إليك أن تتقبل ثلاثة آلاف الدوق التى كانت لليهودى ، لا أجراً وفاقاً ، بل بعض الجزاء لما مننت به علينا من حسن مسعاتك

أنطونيو : هذا مع بقائنا مدينين لك مدى العمر ، بما هو فوق المال ، ومع إيجابنا على نفسنا كلّ خدمة وكلّ وفاء لك إلى آخر أيامنا

برسيا : كفى بالمبرّة مرضاةً للبارّ ، إنى لمسرور لكونى أنقذتكما فأعتدّ هذا جزاءً وافياً ، ولم أكن قط ممن يقيمون للدينار وزناً ، ونهاية ما أرغب فيه إليكما هو أن تعرفانى حين نلتقى بعد الآن ، وأسأل الله لكما النعمة والهناء ، مستأذناً بالانصراف

باسانيو : اغفر لى يا سنيور الحاجى عليك بأن تقبل هدية منا ، على سبيل الذكرى لجميلك ، لا على سبيل المكافأة ،

وأتشدد فى التماس أمرين منك : قبول الهدية ، والصفح عن إلحاحى

برسيا : أراك تلج بحاجة لا تبقى لى مندوحة من القبول « مخاطبة أنطونيو » أعطنى قفازيك سألبسهما تذكراً لك « مخاطبة باسانيو » وأنت أقبل منك هذا الخاتم علامة على مودتك . لا تردد يدك . لن آخذ منها أكثر من هذا ، وإخالك مجيبى إلى ما طلبت

باسانيو : هذا الخاتم يا مولاى — واشقوتا ! — أستحيي أن أسديك شيئاً بهذه القيمة الدنيئة

برسيا : بل هو الشيء الفرد الذى أقبله ، والآن قد ازددت رغبة فيه

باسانيو : لهذا الخاتم ثمن معنوى عندى لا مناسبة بينه وبين ثمنه المالى، فدعه لى على أن أبتاع لك أغلى خاتم فى البندقية ، خاتم أرسل فى التماسه الدلالين والمنادين منبثين فى كل جهة . أيكفى ذلك لتعذرنى عن السماح بهذا الخاتم

برسيا : أجد ياسنيور أنك لا تجود إلا بالوعود ، وقد علمتنى كيف أقترح ، ثم تعلمنى الآن كيف أمنع ما يثقل على الطبع من العطاء

باسانيو : إنى يا سيدى متشبث بهذا الخاتم ، لأن امرأتى قد وهبتنى

إياه ، واستحلفتنى حين وضعته فى أصبعى ألا أبيعه ، ولا أسمح به ، ولا أفقده

برسيا : هذا اعتذار يعتذر به غير واحد من الرجال عن إهداء ما يطلب منهم ، إلا أننى أعتقد أن امرأتك إذا علمت بما فعلته لا ستحقاق هذه الهبة لم يغضبها تخليك عن الخاتم ، فى الحد الذى تتصوره ، إلا إذا كان بها مسّ من الجنون . لا بأس . السلام عليكم « تهم بالانصراف »

أنطونيو : « مخاطباً باسانيو » أعطه هذا الخاتم يا سنيور باسانيو ، ألا تضع خدمته لى وصداقتى لك فى كفة من الميزان ، تقابل الكفة التى فيها نهى عروسك ؟ ! عجل وأهده إليه

باسانيو : إليك يا مولاى المبجل هذا الشيء الذى رغبت فيه ، قد طابت نفسى عنه لك ، وأنت المتفضل الحميد ، حياك الله يا مولاى

أنطونيو : حياك الله أيها السيد الأمثل ، ليتك تسمح بزيارتى الآن مع السنيور باسانيو فتزيدنى إحساناً
أعتذر إليك على أسف منى ، لأننى مضطر إلى السفر عاجلاً

« يخرج باسانيو وأنطونيو ويدخل خادم فيدفع ورقة إلى نريسا »

نريسا : هذا صك اليهودى قد جىء به الآن

برسيا : لنذهب إلى اليهودى فيوقعْ عليه حالاً ، ثم نبحرْ من فورنا لنسبق زوجينا إلى القصر

« يخرجان »

الفصل الخامس

المشهد الأول

بلمنت — شارع أمام قصر برسيا

« يدخل لورنزو وجسيكا »

لورنزو : القمر يضيء إضاءة ساطعة . فى مثل هذه الليلة كان النسيم الخفيف يداعب الأوراق مداعبة لا يسمع لها حفيف ، وكان ترويل على أسوار طروادة ، يتنفس الصُّعداء متلفتًا نحو خيام الإغريق ، ذاكراً حبيبته كريسيده

جسيكا : فى هذه الليلة كانت تسبا تطأ الندى ، فرفع لها طيف أسد قبل أن ترى الأسد ففرّت مروّعة

لورنزو : فى مثل هذه الليلة كانت ديدون ، وبيدها غصن صفصاف واقفة على شاطىء البحر تنادى عشيقها وتشير إليه أن يعود إلى قرطاجنة

جسيكا : فى مثل هذه الليلة ذهبت ميده تقطف الأنبتة السحرية التى

بها تجدّد شباب إيسون

لورنزو : فى مثل هذه الليلة فرّت جسيكا من بيت اليهودى الغنى لاحقةً بعاشقها المخاطر من البندقية إلى بلمنت

جسيكا : وفى هذه الليلة حلف لها محبها اليافع لورنزو وأن يهواها إلى آخر نسمة من حياته ، وقطع لها على الثبات عهوداً ، لن يكون صادقًا فى أحدها

لورنزو : وفى مثل هذه الليلة وشت المعشوقة الماكرة جسيكا بمحبها فغفر لها ما فرّط من ذنبها

جسيكا : لولا سماعى خُطى قادم لأطلت هذه المحاورة

« يدخل ستفانو »

لورنزو : من السارى بهذه السرعة ؟

ستفانو : صديق

لورنزو : أى صديق ؟ ما اسمك بحق الوداد أيها الصديق ؟

ستفانو : اسمى ستفانو . وقد جئت لأبشركم بأن مولاتى لا تلبث أن تصل إلى بلمنت وهى هائمة على وجهها ، كلما صادفت أحد الصلبان المقدسة فى طريقها جثتْ وضرّعت إلى الله بأن يبارك فى قرانها

لورنزو : من يصحبها ؟

ستفانو : لا أحد سوى وصيفتها وناسك . أخبرني متفضلا : أعاد مولاى ؟

لورنزو : لم يرد نبأ عنه إلى الآن . لنعد يا جسيكا إلى البيت ونهيئ لربة القصر لقاء لائقاً بها «يدخل لنسلو»

لنسلو : هيا . هيا . هو . هيا

لورنزو : من ينادى ؟

لنسلو : هيا . أرأيت المسيو لورنزو ؟ أرأيت السيدة قرينة لورنزو ؟ هيا . هو

لورنزو : كفى صخباً ها هما

لنسلو : هيا ، أين ، أين هما ؟

لورنزو : هنا

لنسلو : قل لهما إنه جاء بريد من قبل سيدى مملوء الجيوب أخباراً سارة ، وسيكون سيدى فى هذا المكان قبيل الفجر « يبتعد »

لورنزو : هلمى ندخل يا روحى العزيزة . وننتظر عودهما . ولكن لا ؛ علامَ الدخول . قد أبلغ الصديق ستفانو أهل القصر أن مولاتك على وشك القدوم ، وقد جاء بالموسيقيين إلى هذا الخلاء ليكونوا فى الهواء الطلق «يبتعد ستفانو»

لورنزو : « متمماً » ما أرق ضوء القمر فى انبساطه هادئاً على ،

وجه هذه المرجة الخضراء . لنجلس ونشنف آذاننا بأنغام الموسيقى ، فإن الظلام والسكوت أفضل مواقع الألحان . اجلسي يا حبيبتي جسيكا وسرحي الطرف فى هذا الفضاء العلوى الممدد تمديد المستوى الخشبي الصقيل ، وقد رصع بما لا يحصى من الصُّحيفات الذهبية اللامعة . ما من جرم فى هذه الأجرام التى ترينها إلا هو ضامٌّ نغمته السماوية إلى خورس الملائكة ذات العيون الملأى صبى ، ومثل هذا الشجى الشائق يتردد فى النفس الخالدة ، ولكن الكساء الضافى علينا من نسج الفساد وحمأة الصلصال يحول دون سماعنا ذلك الإيقاع

« يدخل الموسيقيون »

لورنزو : تعالوا ، ولتستيقظ ديانا على أصواتكم . أطربوا بمحاسن ألحانكم مسامع سيدتكم ، وليجتذبها الشوق نحو مستقرها

جسيكا : لا أستطيع أن أكون فرحة عندما أسمع موسيقى شجية

لورنزو : ذلك لأن قواك تكون صاغية . انظرى إلى مقنبة من المهار الوحشية الوثابة ، ولما تبلُ ما بالشكيم والحكم من حكم وألم ، تجديها مندفعة بحرارة دمها الغالى اندفاع ما لا رادَّ له ، تقرع الهواء برنات صهيلها. فإذا حملت الريح إليها بغتة عزفاً موسيقيّاً وقفت جماعةً من فورها ، وغلب فعل النغم الذى

سكنت إليه على تلك العزيمة الهمجية التى كانت تتقد فى عينيها ، ولهذا ادعى الشعراء ، وما أخطأوا ، أن أورفه كان يجذب إليه الأشجار والصخور واللجج ، إذ ما من مخلوق بلغ ما بلغ من البلادة وجمود الحس والهمجية إلا وللموسيقى تأثير فى طبيعته . الرجل الذى لا يشعر بالموسيقى ولا يهزه الطرب إنما هو مفطور على الغدر والاحتيال والاغتيال . حركات نفسه قطوب كقطوب الظلام ، وأهواؤه سود كأهواء الريب . وقصارى القول إنه رجل يحذر شره ويتقى أمره . لنتسمع للموسيقى

« تظهر برسيا ونريسا من جانب آخر »

برسيا : هذا النور الساطع منبعث من كوة المزارة الكبرى فى قصرى ، ما أبعد مداه بالإضاءة ، وما أشبهه بالعمل الطيب فى هذا العالم الخبيث

نريسا : لم ننظره قبل أن يغشى السحاب القمر

برسيا : وهكذا المجد الصغير يستغرقه المجد الكبير . يظل رسول الملك متألق المظهر ، حتى يجيء مولاه ، فيتوارى الرسول فى جلال الملك ، كما يتلاشى الجدول الضعيف فى البحر الواسع . أسمع أنغام موسيقى . لنصغ إليها

نريسا : هذه موسيقى القصر

برسيا : قيمة الأشياء أبداً نسبية ، ويخيل إلىّ أن [هذه الألحان أشجى الآن منها فى النهار

نريسا : السكوت يا سيدتى يعيرها هذا الطرب

برسيا : إنما الغراب والقنبراء واحد فى أذن من لا ينصت إليهما ، وعندى أن البلبل لو غرّد نهاراً بين صداح الإوز ، لما أنزل من الطرب إلاّ فى منزلة البوبانة . وكم من الأشياء لا يتأتى سناء قدرها ، ولا يتسنى لها تمام بهجتها ، إلا من ملاءمة آنها أو أينها ، صه ، قد رَقّ النغم لئلا يستيقظ العاشقان النائمان على وساد واحد « ينقطع صوت الموسيقى »

لورنزو : « قادماً ومخاطباً أحداً وراءه » هذا صوت برسيا ، أو شدّ ما أنا مخطئ .

برسيا : عرفنى كما يعرف الأعمى رنة الواقته ، لسوء ما تتشبه نغماتها بنغمة الطائر

لورنزو : على الرحب نزولك فى دارك يا مولاتى

برسيا : ضرعنا إلى الله استدراراً للخير على زوجينا ، وأملنا أن يكون دعاؤنا قد استجيب . أرجعا ؟

لورنزو : تقدم بشير بقرب ورودهما

برسيا : ادخلى القصر يا نريسا ، وأوصى خدمى بألا يبوحوا

بغيبتنا . وأنت يا لورنزو ، حذار أن تفشى السر ،
وأنت يا جسيكا « يسمع معزف »

لورنزو : هذا معزف قرينك ، فهو قاب قوسين منا . نحن حفظة للعهد ، فلا تخشى أن نكاشف أحداً بما فى الضمير

برسيا : يكاد الليل ، وهذا إقماره ، يشبّه بالنهار ، غشيت السحب شمسه فبدا فى حلة من البهار

« يدخل باسانيو وأنطونيو وغراتيانو وأتباعهم »

باسانيو : لو حلى الليل بطلعتك لكانت الشمس معنا فى هذا المكان وفى مقاطره من الأرض

برسيا : يضىء نورى من غير أن يزدهر ، فإن المرأة البعيدة الإشراق لا يكون زوجها إلا محنقاً غضوباً ، وبودى ألا تكون ذلك أبداً . إنما يفعل الله ما يشاء . أهلاً بك يا مولاى فى أهلك وسهلاً فى سهلك

باسانيو : حياك الله ، وشكر لك عنى يا سيدتى تفضلى ورحبى بصديقى ، هذا أنطونيو هذا هو الرجل الذى أنا مدين له بكثير

أنطونيو : غير أنى قد كوفئت أحسن مكافأة عن كل ما كان

« يحدث حوار بين غراتيانو ونريسا »

برسيا : مرحباً بك فى هذا الصرح يا سنيور ، سنحاول إثبات وفائنا لك بغير الألفاظ ، فدعنا من المجاملة الشفوية غير المفيدة

غراتيانو : « مخاطباً نريسا » وايم هذا القمر المنير ، لأنت مخطئة بشكواك منى . قسماً بقولى — وإنه لصادق — لم أهد الخاتم إلا إلى كاتب المحامى ، ليت ذلك الكاتب لم يكن ولا السبب الذى أثر فيك هذا التأثير كله

برسيا : ويكما أبدأتما الشجار ؟ علام تختلفان ؟

غراتيانو : على خاتم ذهب لا قيمة له ، أعطتنى إياه ، وعليه ، كلمات منقوشة مما يحفر مثله صناع المدى ، وتلك الكلمات هى بلفظها : « أحببنى ولا تتركنى »

نريسا : ما دخل القيمة أو النقش ؟ عندما وهبتك إياه ، أقسمت لى إنك تستبقيه إلى الممات ، بل تستصحبه إلى القبر ، فكان جديراً بك تحرماً لأيمانك المغلظة أن تحتفظ به . لكنك تزعم أنك جدت به على كاتب محام . وأنا على يقين من أن ذلك الكاتب لم ينبت الشعر فى ذقنه

غراتيانو : سينبت له عذار إذا أدرك الرجولة

نريسا : أجل ! على تخمين أن الأنثى تصبح ذات يوم ذكراً .

غراتيانو : أعزم إننى أهديته إلى غلام مراهق ، ربعة لا ينيف عليك طولا ، وهو كاتب القاضى . التمسه منى أجراً

لخدمته ولم أجرؤ أن أضنّ به عليه

برسيا : إذا وجبت المصارحة بما فى الضمير فقد أخطأت بأن منحته — من غير أن تبصر — أول هدية أهدتها إليك امرأتك ولا سيما أنها خاتم تقلدته ، مقسماً بالحرص عليه ، وكان جديراً بأن يستمر لصيقًا بلحمك مدى العمر ، لأنه عربون الوفاء الزوجى ، على أننى قد أهديت إلى قرينى خاتماً من قبيله ، واستحلفته ألا يطيب عنه نفساً ، فاسأله تتيقن كيقينى أنه لو بودل عليه بكنوز الخافقين، لما أخرجه من أصبعه .. حقًّا يا غراتيانو . لقد أحدثت فى نفس امرأتك سبباً مثيراً للشجن ، ولو أحدث بعلى مثله فى قلبي لذهب بلبى

باسانيو : « منفرداً » يا للداهية . كان خيراً لى أن أقطع يسراى ، وأقسم إننى لم أفقد الخاتم إلا بعد دفاع مجيد

غراتيانو : السنيور باسانيو منح خاتمه للقاضى ، بعد أن لج فى طلبه ، وكان القاضى خليقًا بأن يعطى ما يشاء ، أما أنا فقد رغب إلىّ كاتب سره فى الحصول على الخاتم الذى بيدى ، فعرفت له قدر ما كتب ، وما تعب ، وحققت أمله . على أنهما كليهما قد عفًّا عن كل جزاء منا إلا هذين الخاتمين

برسيا : أى خاتم وهبت أيها السيد ، لعله غير الذى أخذته منى

باسانيو : لو استطعت أن أضيف أكذوبة إلى ذنبي لأنكرت ، ولكنك ترين أن الخاتم ليس فى أصبعى ، وقد فقدته

برسيا : ويحك من قليل الإيمان حانث بالأيمان ! آليتُ بالعلىّ العظيم ألا أدخل سريراً أنت فيه ما لم أجد خاتمى

نريسا : وأحلف مثل حلفتها أو أجد خاتمى

باسانيو : يا سيدتى الجميلة ! لو كنت تعلمين لمن أعطيته ، ومن أجل من أعطيته ، وبعد أى تمنع أعطيته ، إذ لم يرضه أى شيء سواه ، لرفهت عليك ، وخففت من كدرك

برسيا : وأنت لو علمت قيمة ذلك الخاتم ، أو نصف قيمة الإنسان الذى وهبك إياه ، ولو أدركت أن شرفك مرتبط بألا تتخلى عنه ، لما طبت عنه نفساً . ولو تشددت بعض التشدد الواجب فى الدفاع ، لما سمع رجلاً عنده ما قلّ من الرقة ، أو الكياسة ، أو الأدب أن يصر على سلبك شيئاً له عندك مثل تلك الكرامة . لقد أفهمتنى نريسا ما يجدر بى أن أظنه . وأنا الآن على ثقة من أن الخاتم إنما أهدى إلى امرأة

باسانيو : لا ياسيدتى ! أعزم على شرفى ، وعلى نجاة نفسى إن الذى تلقى الخاتم ليس امرأة ، بل عالم حقوق لم يرض ثلاثة آلاف دوقى عرضناها عليه ، وإنما ابتغى خاتمى ،

فبعد أن أبيته عليه ، وكاد ينصرف مغضبًا ، مع أنه منقذ صديقى — ماذا أقول لك أيتها الحبيبة برسيا — غلبنى على أمرى عظمُ جميله ، واستحييت من ضَنّى عليه تجاه تفضيله علىّ ، فلم أجرؤ أن أدع على شرفى وَصْمة عار كوصمة هذا الجحود للإحسان ، فاغفرى لى ذنبي يا مليكة لبى ، وأستشهد كواكب السماء ، مصابيح هذه الليلة البيضاء ، أنك لو كنت حاضرة لأمرتنى أمراً بإعطاء الخاتم لذلك الذكى العالم

برسيا : حذار أن يدنو عالمك من حرمى ، فتالله لو جاء بعد أن حصل على الحلية التى كانت عزيزة علىّ ، وكنت حالفًا بالحرص عليها من أجلى حبى ، لو جاء لما بخلت عليه بشيء يطلبه مما لا أبيحه إلاّ قرينى دون سواه . واعلم أننى سأعرفه ، فإياك أن تتغيب ليلة واحدة ، وألا ترقبنى دائباً بعيون الحذر ، فإنك إن قصرت فى ذلك ، أو تركتنى يومًا منفردة فوايم شرفى الذى ما زال ملكى ، لأبيتن وضجيعى ذلك العالم

نريسا : « مخاطبة غراتيانو » : وليكونن ضجيعى كاتبه إن غفلت عنى

غراتيانو : ليفعل إن استطاع ، ولكن إياه أن يقع فى يدى فأهشم بها قلمه

أنطونيو : يا أسفى ! أنا المسبب لكل هذا الشجار

برسيا : لا تبال ذلك يا سنيور ، مرحبًا بك على كل حال

باسانيو : برسيا ! اصفحى لى عن هذه الغلطة التى وقعت برغمى ، وأقسم على مرأى ومسمع من أصحابنا هؤلاء . أقسم بعينيك اللتين أرى فيهما

برسيا : يا أيها الرجل الذى هو اثنان فى واحد ، وكذلك يتراءى فى كل من عينى . أقسم بازدواجك هذا أصدّق يمينك

باسانيو : رحماك ! أصغى إلىّ . تجاوزى لى عن هذه الغلطة ، وأحلف بنفسى إننى لن أحنث بأيمانى لك بعد اليوم

أنطونيو : « مخاطباً برسيا » : قد سلف أننى رهنت من أجله حياتى وهى تلك الحياة التى كدت أسلبها ، لولا العالم الذى كوفئ بذلك الخاتم ، واليوم أرتهن لك عهدى عنه ، بأنه لن يحنث عن عمد ، أو على علم منه ، بأى أمر يكون قد عاهدك عليه

برسيا : رضيت بك ضامنًا ، فأعطه هذا الخاتم ، وأوصه بأن يحرص عليه أكثر مما حرص من قبل

« يتناول خاتماً ويدنيه إلى باسانيو »

أنطونيو : تناول هذا الخاتم يا سنيور باسانيو واحلف بأنك تصونه

باسانيو : وايم الله هو نفس الخاتم الذى وهبته للعالم

برسيا : من يده تلقيته ، وغفرانك يا باسانيو !

نريسا : « مخاطبة غراتيانو » كذلك أنا ألتمس عفوك يا حبيبى غراتيانو ، فإن ذلك الفتى المتقاصر ، كاتب القاضى ، قد أعاد إلىّ هذا الخاتم الليلة البارحة

غراتيانو : غرابة وأى غرابة ! أفرخت لناقرون ولما يحن نباتها ! ما أشبه هذه الحالة بإصلاح الطرقات الجميلة صيفاً حيث لا حاجة إلى ذلك الإصلاح

برسيا : لطف من ألفاظك ! أجدكم جميعاً دهشين « مخاطبة باسانيو » هذا كتاب تقرؤه — حين فراغ — كتبه بللاريو من بادوا وفيه أن برسيا هى العالم ، ونريسا هى ناموسه . وسيخبركم لورنزو أننى سافرت منذ سافرتم ، وأننى إنما عدت الآن قبيل عودتكم ، فلم أملك أن أدخل قصرى . أنطونيو مرحباً بك ، وإليك نبأ مبهجاً لم يكن فى حسبانك : افضض سريعاً هذا الألوك ترَ فيه أن ثلاثة من مراكبك مليئة بأثمن الأوساق قد بلغت إلى المرفأ سالمة ، بعد اليأس من نجاتها ، ولن أذكر لك المصادفة التى أوصلت إلىّ هذا الكتاب قبل انتهائه إليك

أنطونيو : عىّ لسانى

باسانيو : « مخاطباً برسيا » يا عجباً ! أأنت التى كانت ذلك القاضى ولم نتبينك ؟ !

غراتيانو : « مخاطباً نريسا » : يا عجباً ! أأنت كنت ذلك الناموس الذى انتدب ليستنبت لى قرنين ؟ !

نريسا : نعم ، ولكن ذلك الفتى لن يفعل ما ذكرت حتى يصير رجلاً

باسانيو : « مخاطباً برسياً » : نعم العلامة الخلابة ، ستكون أيها الأستاذ قسيمى فى سريرى ، وإذا أنا غبت ضجيع امرأتى

أنطونيو : « قد أتم القراءة » : يا سيدتى لقد أفضت على جميع النعم فى إفاضة واحدة : الحياة ومقوماتها ، وإن هذا الألوك ليؤيد تأييداً مانعاً للريب رسو سفنى ناجية فى الميناء

برسيا : ثم اعلم يا لورنزو أن فى حقيبة كاتبى أنباء تسرك أيضاً

نريسا : أجل ، وسأعطيكها غير مأجورة ، فهذا عقد بموجبه نزل اليهودى الغنى لك ولجسيكا نزولاً قانونياً وثيقاً عن جميع أملاكه وأمواله بعد مماته

لورنزو : أيتها السيدتان الشائقتان لقد أغدقتما المن وأمطرتما السلوى على الجياع والعطاش

برسيا : أوشك الفجر أن يلوح ، وما أجد عند أحد منكم إلا رغبة فى الوقوف على تفصل هذه الحوادث ، فهلموا تدخل ،

فتسألونى وأجيبكم بجلاء عن كل ما تستوضحون

غراتيانو : حبًّا وكرامة . لكننى سأسأل نريسا بادئ بدء عما إذا كانت تؤثر التريث على المبيت إلى الليلة الآتية أو اغتنام الساعتين الباقيتين من السحر . أما أنا فلو كان الوقت نهاراً لتمنيت عودة الظلام وقضاء ساعاته فى هناءة مع كاتب القاضى ، ولن أخشى ما حييت بعد الآن إلا أن أفقد خاتم نريسا

« يبتعدان ويهبط الستار »

مطابع دار المعارف بمصر
١٩٧٦

هذا الكتاب

قصة تصور كثيراً من النوازع النفسية والمعانى البشرية كتبت على شكل أحدوثة جرت فى إيطاليا تداولتها عنها سائر الأمم . إنها قصة الحب وقصة الطمع والحقد والجبن التى لا يقدر سوى شكسبير على تلوينها بقلمه وعبقريته النادرة . إن شخصية « شيلوك » المرابى اليهودى هى الشخصية التى لا تزال نموذجاً للطمع والحرص على مر الدهور .

Bibliotheca Alexandrina
مكتبة الإسكندرية
0254332